

الرباط والمرابطون

للشيخ عبد المجيد حمود عامر

(أبي البراء الإبي رحمه الله)

بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

الرباط والمرابطون

للشيخ/

عبد المجيد حمود عامر

"أبي البراء الإبي"

– رحمه الله–

بيت المقدس

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ... وبعد:

فهذه وريقات أحببت أن أكتبها وأرسلها للإخوة في أرض الرباط في أي أرض كانوا، سواءً كانوا في أفغانستان أو الشام أو الجزيرة أو الصومال أو مغرب الإسلام أو العراق أو أرض الكنانة أو في أي مكان كانوا يرابطون من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.

أرسلها إلى الذين باعوا دنياهم وأصبح الموت هو أغلى وأسمى أمنياتهم، إلى الذين أرواحهم على أكفهم معروضة على ربهم صباح مساء لعله يختارها ويتخذها من الشهداء.

إلى الذين بذلوا النفوس والمهج، واستعذبوا الغبار والرهج، فتطايرت أشلاؤهم وزكت دماؤهم، فسالت أودية بقدرها تضيئ الدرب للسائرين، وتستحثّ الهمم لنصرة الدّين.

إلى أولئك الذين يسهرون إذا نام الناس، ويبكون إذا فرح الناس، ويقومون إذا سمر الناس، إلى حراس هذه الأمة وحصنها الحصين وبناءها المكين الذي إليه يأوون كلما اشتدت الكروب أو زادت الخطوب.

لولا أولئك لكان حالُنا اليومَ في حضيضِ المهانةِ والمذلةِ.

"إلى المرابطين في سبيل الله الذين لما رأوا الجهاد في هذا الزمان قد درست آثاره فلا ترى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مقمرا، وأظلم نهاره بعد أن كان نيرا، وذوى غصنه بعد أن كان مورقا، وانطفأ حسنه بعد أن كان مشرقا، وقفلت أبوابه فلا تطرق، وأهملت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض، وصمتت طبوله فلا تنبض، وربضت أسوده فلا تنهض، وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض، وأغمدت السيوف من أعداء الدين، إخلادا إلى حضيض الدعة والأمان، وخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل

الإيمان، وآمت''أي:صارت أيِّما'' عروس الشهادة إذ عدمت الخاطبين، وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين، فلا نجد إلا من طوى بساط نشاطه عنه أو اثاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبة منه، أو تركه جزعا من القتل وهلعا، أو أعرض عنه شحا على الإنفاق وطمعا، أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل''. مشارع الأشواق.

''أيها المرابطون أتعرفون ولابد أن تعرفوا من أنتم حتى لا تحتقروها.

أنتم السيل الجارف الذي يزيل وينظف خبث الكافرين والمنافقين.

أنتم هدير البحار التي تبيد موانئ سفن الملحدين.

أنتم الحمم التي تنبثق من البراكين لتحرق مطامع الكافرين.

أنتم أتباع مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، نقلع وننسف رؤوس الشياطين.

أنتم ميزان العدل الذي يخفض جبابرة الأرض تحت أقدام الحق.

أنتم الهول والبطش الذي يقطع ألسنة الأفاعي وأنياب الذئاب.

أنتم العواصف والأعاصير التي تكسر أجنحة الأكاسر ومخالب الوحوش.

أنتم الدمار الشامل الذي يدمر الدنيا المنحرفة عن منهج وتعاليم الله.

أنتم عمالقة العالم أمام الظلم والاستبداد والجور والاستعباد.

أنتم السوط الذي يدمي ويمزق ظهور الخونة والأشرار.

أنتم قدر الله، أتيتم لتحقيق مراد الله في أرض الله...

أنتم طوفان نوح، جاء ليُطهر الأرض من أدران الشرك، ويغرز رماح التوحيد فوق جماجم البشرية''. خواطر المحبين.

فهل عرفتم الآن من أنتم، أنتم الذين تحديتم العالم كله؟ رغم فقركم وقلة ذات يدكم، مع أن العالم كله قد تجمع عليكم وجاؤوا بحدهم وحديدهم بخيلهم ورجلهم بطائراتهم وأساطيلهم بمدرعاتهم ودباباتهم بجيوشهم وتقنياتهم، وأنتم وقفتم أمامهم بسلاحكم البسيط.

أسأل الله أن يحفظكم بحفظه ويرعاكم برعايته، وأن ينصركم على عدوه وعدوكم نصراً مؤزراً، وأن يثبت أقدامكم، وأن يسدد رميكم، وأن يعز بكم الإسلام والمسلمين.

اللّهم فاجعل خاتمة حياتنا شهادة في سبيلك ولا تحرمنا بعدها الشرب من حوض نبيك واجعلنا اللهم ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

أخوكم: **أبو البراء الإبي**

تمهيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وهذا "أي الجهاد" باب واسع لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه فهو ظاهر عند الاعتبار فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال على مال يشتمل عليه عمل آخر.

والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم إن الخلق لا بد لهم من محيا وممات ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتهما فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد وقد يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت فموت الشهيد أيسر من كل ميتة وهي أفضل الميتات".

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين: "وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال: ﴿تُؤْمِنُون بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفَسِكُمْ﴾، فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال: ﴿ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة، فكأنها قالت: فما لنا في الجهاد من الحظ؟ فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبكُمْ﴾ مع المغفرة: ﴿يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنِ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فكأنها قالت: هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا؟ فقال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها، وما ألطف موقعها من قلب كل محب، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها، فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم ‘‘ أ هـ.

معنى الرباط

في المحيط في اللغة:"ربط الرِّبَاطُ: الشيْءُ الذي يُرْبَطُ به، والجميعُ الرُّبُطُ، رَبَطَ يَرْبِطُ ويَرْبُطُ رَبْطاً. والرباطُ: مُلازَمَةُ ثَغْرِ العَدُو، ورَجُلٌ مُرَابِطٌ. والمرَابِطَاتُ: جَمَاعَةُ الخُيُوْلِ الذين رابَطُوا. وقَوْلُه عَز وجَل ﴿اصْبِرُوا وصابِروا ورَابِطُوا﴾ من رِبَاطِ الجِهَادِ. وقيل: واظِبُوا على الصَلاَةِ في مَوَاقِيْتِها، والرِّبَاطُ: المدَاوَمَةُ على الشيْءَ. وقَوْلُه عَزوجَل ﴿ومِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ﴾ هي الخَمْسُ فما فَوْقها، وجَمْعُها الرُّبُطُ. ورَبَطَ اللهُ وَجَعَه عنه: أي أبْرَأه من مَرَضِه. وفُلان رابِطُ الجَأشِ. ورَبَطَ جَأشَه: اشْتَد قَلْبُه. ومنه قَوْلُهم: رَبَطَ اللهُ على قَلْبِه بالصَّبْرِ. لاذا وُضِعَ التَمْرُ في الجِرَارِ فَصبَ عليه الماءُ فهو: الرِبِيْطُ. والمتَرَابِطُ من الماء: الذي لا يَخْرُجُ من مُجْتَمَعِه. بطر البَطَرُ: الحَيْرَةُ والدَّهَشُ. وهو الأشَرُ وغَمْطُ النِّعْمَةِ، من قَوْلِهم: بَطِرَ نِعْمَةَ الله" أ هـ.

الرباط: حصن حربي يُقام في الثغور المواجهة للعدو للذود عن ديار المسْلِمين، وهذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أما القرآن الكريم فمنه قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ومن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وفى الحديث النبوي في البخاري جاء فضل الرِّبَاط في سبيل الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله – ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها".

وأصبحت كلمة مرابط تطلق على الشخص الذي خرج إلى الثغور للدفاع عن المسْلِمين من أعدائهم، وأطلق المسْلِمون على الثغر أي المحل الذي يقيمون فيه اسم الرِّبَاط.

وسمـي الـرباط رباطـاً: لأنهـم كـانوا يربطـون خيـولهم بجـانبهم انتظـارا لمعركـة يكـرون أو يدفعون بها على الثغور، فسمي المقام بالثغر رباطا وإن لم يكن فيه خيل.

وقـال ابـن قدامـة رحمـه الله في المغـني: ''في تفسـير معـنى الـرباط وبيـان فضـله: ''معـنى الـرباط، الإقامـة بالثغـر مقـوِّياً للمسـلمين علـى الكفـار، والثَّغـر كـل مكـان يخيـف أهلـه العـدو ويخيفهم.

وأصـل الـرباط مـن ربـط الخيـل، لأن هـؤلاء يربطـون خيـولهم، كـلٌ يُعِـدُّ لصـاحبه، فسُـمِّي المقـام بالثغـر رباطـاً، وإن لم يكـن فيـه... وأفضـل الـرباط المقـام بأشـد الثغـور خوفـاً، لأنهـم إليـه أحوج، ومقامه به أنفع ''.

وقـال الشـيخ عبـد الله عـزام: ''الـرباط هـو الانتظـار الطويـل للمعركـة، وقـد يـرابط الإنسـان سـنة ولا يشـهد معركـة، والـرباط ثقيـل علـى الـنفس ومتعـب لهـا -انتظـار منتظـر- سـتة أشـهر مـا أطلقـت طلقـة، لكـن هـذا لـيس عبثـا ولـيس هـدرا لا يـذهب سـدى، فإنمـا هـو في ميزانك ثقيل يوم القيامة''.

وقـال أيضـاً: ''المـرابط يـرابط في سـبيل الله لإخافـة الأعـداء، وحمايـة الـديار، وصـيانة الثغور، ويتحمل على نفسه، ويفزع ليلا ونهارا من أجل أن يوفر الأمن للناس.

كـم مـن مـرارة يتجرعهـا ليـذوق مـن وراءه مـن المسـلمين حـلاوة النـوم والطعـام؟ إنـه تـرك أهلـه وعيالـه، وقـد لا يكـون لـديهم طعـام ولا لبـاس، ويكفـي حرمـانهم أنسـه، وفقـدانهم رعايتـه وتربيتـه مـن أجـل أن يحمـي آلافـا وملايـين مـن الأسـر مثـل أسـرته.. إنـه يـرى المـوت كـل يوم مرات، ليوفر الحياة الحقيقية والسعادة والعزة للأمة المسلمة.

يسـهر كـل ليلـه لينـام النـاس، ويحـزن ليهنـأ المسـلمون مـن ورائـه، لقـد أصـبح صـليل السـلاح نغمـه الحبيـب، وصـوت ''الله أكـبر'' نشـيده المرغـب، ومـا أجملهـا مـن أيام تقضـيها بين المجاهدين، كل واحد ارتقى قمة جبل مرابطا وراء سلاحه '' أ هـ.

ويحتوى الرِّبَاط على برج مراقبة وحصن صغير، أو ما يسمى اليوم بالمترس، أو النوبة، وقد أقام ولاة الثغور كثيرًا من هذه الرُّبُط لحماية حدود الدولة الإسلامية على مرِّ التَّارِيخ، فكان في بلاد ما وراء النهر عشرة آلاف رباط، وكذلك في ثغور الجزيرة الفراتية، وكانت سواحل المغرب المطلَّة على البحر المتوسط عرضة لغارات البيزنطيين أكثر من غيرها، فأقيمت فيها الرُّبُط وشحنت بالمجاهدين للدفاع عنها، حتى إن الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري عندما أراد بناء مدينة القيروان بلغت الحماسة برجاله فاقترحوا عليه إقامتها على الساحل للمرابطة فيها، وقالوا له: ''قرِّبها من البحر ليكون أهلها من المرابطين''.

وقد توسَّعت الرُّبُط في عهد العباسيين، وبنى الوالي العباسي هرثمة بن أعين أول رباط في إفريقية عام (179هـ / 795م) وتوسَّع الأغالبة في هذا المجال توسُّعًا عظيمًا، وأقام الوالي زيادة الله الأغلبي رباط سوسة عام (206هـ/ 822م).

وكان الأغالبة يسمون هذه الرُّبُط بالقصور والمحاريس، وقد انتشرت من الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي، وكان أهالي الشَّمَال الإفريقي يلجأون إليها، إذا داهمهم الغزاة، وقد قاومت هذه الثغور أساطيل وجيوش البيزنطيين، الذين عجزوا رغم تفوقهم البحري عن احتلال الساحل الإفريقي، وقد التزم المقيمون في هذه الثغور بالاهتمام بالفروسية، والتدريب عليها خاصَّة، بالإضافة إلى كل التدريبات الجهادية الأخرى التي أهلتهم للقيام بمهماتهم على أكمل وجه من الذود عن حياض المسْلِمين والجهاد في سبيل الله.

وإلى جانب المهمات الجهادية التي قامت بها الثغور فقد اهتمت بالناحية العِلمِيَّة، فمع انتشارها أخذت التعاليم الإسلامية تنتشر من خلالها، وقد قام فقهاء أهل السنة والجماعة في تلك الثغور من فقهاء المالكية بدور ريادي عظي في وجه التيارات الفكرية والمذهبية التي عصفت بالمشرق، وكانت الرُّبُط الثغور والقلاع والحصون هي المنطلق لنشر ما كان عليه رسول الله – ﷺ – وأصحابه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة،

وأصبحت الثغور في الشَّمَال الإفريقي مدارس علمية تدرِّس أمور الدين من فقه وحديث وتفسير وأصول وغيرها، وكانت حياة أهل الثغور تقوم على أساس من التعاون بين أفرادها لتحقيق حياة إسلامية مثالية، وكان الأفراد يجمعون المؤن بأنفسهم عن طريق الصيد البرى والبحري حسب موقع الرِّبَاط، وكذلك يقومون بإعداد الطعام، وكل ما تتطلبه عمليات التموين من زراعة وصناعة آلاتها بالإضافة إلى صناعة الأسلحة.

وأمَّا من ناحية العبادة، فالجماعة التي التزمت بالرِّبَاط مؤمنة بربها وبرسالة الإسلام، فكانت العبادة تقتصر على الصلوات الخمس جماعة، وقد وضعت عقوبات لمن يتأخَّر عنها.

وفى أوقات السلم كانوا يحفظون القرآن وتفسيره وكل ما يمت إلى الدين بصلة، ويقُومون بالمهمات التي تتعلق بحياة الرِّبَاط، وبما أن التبشير بهذا الدين والدعوة إليه من أهم واجباتهم؛ فكانوا يخرجون إلى القبائل لهدايتها وترغيبها في الإسلام وتربيتها عليه، وقد أدَّت الثغُور في الشَّمَال الإفريقي خدمات جليلة للإسلام وللمُسْلِمين، فقد عصمت أهل المغرب إلى حد كبير من الفِتَن التي سادت المشرق، وكان لمنهج أهل السنة والجماعة شوكة وحماة وعلماء وفقهاء في تلك الربوع من عالمنا الإسلامي، وتميَّز أهل الثغور عن غيرهم بالزهد والتقشف والتفاني في سبيل الله، ولا يبتغى أهلها من النَّاس من وراء ذلك جزاء ولا شكورًا، وإنما لسان حالهم ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾. فقه التمكين عند دولة المرابطين.

فضائل الرباط:

وقال ابن النحاس رحمه الله عن الرباط في سبيل الله: "وقد ورد في فضله أشياء عظيمة لا توجد في غيره من القربات".

قال الله تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

صدرت الأوامر من الله إلى الجيش الإسلامي بالمصابرة والمرابطة والثبات، فإنها أعمدة النصر المنتظر إن رفعت على تقوى الله و التزام حدوده فقال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

والمرابطة من المصابرة ولكنها الصبر المستديم غير المبتوت الجامع للحذر والتيقظ والرصد الدائم لتحركات العدو. ولا يحفظ بلاد الإسلام إلا المرابطون في الثغور والحدود يصدون عنها الطامعين ومنها ينطلقون فاتحين فهم في حالة دائمة من الاستعداد والتنبيه والتوثب وقد عرف رسول الله ﷺ دور هؤلاء المرابطين فبشرهم بالثواب الطيب.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النبي – ﷺ – قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها" رواه البخاري.

قال النووي في شرح مسلم: "خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها الإنسان، وتصور تنعمه بها كلها ؛ لأنه زائل ونعيم الآخرة باق، قال القاضي: وقيل في معناه ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا: أنها خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان، وملك جميع ما فيها وأنفقه في أمور الآخرة، قال هذا القائل: وليس تمثيل الباقي بالفاني على ظاهر إطلاقه. والله أعلم".

قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة: "وهذا عندي أوجه وأظهر يعني مما ذكره

القاضي عياض، والله أعلم''.

قال ابن بطال:''قال المهلب: إنما صار رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها؛ لأنه عمل يؤدى إلى الجنة، وصار موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها من أجل أن الدنيا فانية وكل شيء في الجنة وإن صغر في التمثيل لنا – وليس فيها صغير – فهو أدوم وأبقى من الدنيا الفانية المنقطعة فكان الدائم الباقي خيرًا من المنقطع''.

عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: ''رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان '' رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم:''هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجَرَيان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيه أحد، وقد جاء صريحاً في غير مسلم: ''كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمى له إلى يوم القيامة'' وقوله صلى الله عليه وسلم: ''وأجري عليه رزقه'' موافق لقول الله تعالى في الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ والأحاديث السابقة أن أرواح الشهداء تأكل من ثمار الجنة ''.

عن شرحبيل بن السمط، أنه مرَّ عليه سلمان وهو مرابط فقال: ما تصنع ها هنا يا شرحبيل؟ فقال شرحبيل: أرابط في سبيل الله قال سلمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ''رِبَاطُ يومٍ أو ليلةٍ خير من صيام شهر وقيامه''، رواه ابن حبان وصححه الألباني.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ''رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطا في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه برزقه وريح من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل ''، رواه الطبراني ورواته ثقات وصححه الألباني.

وعـن العـرباض بـن سـارية رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: ''كـل عمـل ينقطـع عـن صـاحبه إذا مـات إلا المـرابط في سبيل الله فإنـه ينمـى لـه عملـه ويجـرى عليـه رزقـه إلى يـوم القيامة''.

قـال القـرطبي في تفسـيره: ''وفي هـذين الحـديثين دليـل علـى أن الـرباط أفضـل الأعمـال الـتي يبقـى ثوابهـا بعـد المـوت، كمـا جـاء في حـديث العـلاء بـن عبـد الـرحمن عـن أبيـه عـن أبي هريـرة عـن النـبي ﷺ أنـه قـال: ''إذا مـات الإنسـان انقطـع عنـه عملـه إلا مـن ثلاثـة إلا مـن صـدقة جاريـة أو علـم ينتفـع بـه أو ولـد صـالح يـدعو لـه'' وهـو حـديث صـحيح انفـرد بإخراجـه مسـلم، فـإن الصـدقة الجاريـة والعلـم المنتفـع بـه والولـد الصـالح الـذي يـدعو لأبويـه ينقطـع ذلـك بنفـاد الصـدقات وذهـاب العلـم ومـوت الولـد. والـرباط يضـاعف أجـره إلى يـوم القيامــة، لأنــه لا معــنى للنمــاء إلا المضــاعفة، وهــي غــير موقوفــة علــى ســبب فتنقطــع بانقطاعـه، بـل هـي فضـل دائـم مـن الله تعـالى إلى يـوم القيامـة. وهـذا لأن أعمـال الـبر كلهـا لا يـتمكن منهـا إلا بالسـلامة مـن العـدو والتحـرز منـه بحراسـة بيضـة الـدين وإقامـة شـعائر الإسلام. وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة''.

عـن أبي أمامـة رضـي الله عنهمـا قـال سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: ''أربعـة تجـري علـيهم أجـورهم بعـد المـوت: مـن مـات مرابطـا في سـبيل الله، ومـن علـم علمـا أجـري لـه عملـه مـا عمـل بـه، ومـن تصـدق بصـدقة فأجرهـا يجـري لـه مـا وجـدت، ورجـل تـرك ولـدا صـالحا فهـو يدعو له''، حديث حسن رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة وهو في صحيح الجامع.

وعـن مجاهـد عـن أبي هريـرة رضـي الله عنـه أنـه كـان في الـرباط، ففزعـوا إلى السـاحل ثم قيـل: لا بأس، فانصـرف النـاس ووقـف أبـو هريـرة، فمـر بـه إنسـان فقـال: مـا يوقفـك يا أبا هريـرة؟ فقـال سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول ''موقـف سـاعة في سـبيل الله خـير مـن قيـام ليلـة القدر عند الحجر الأسود''، رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

وقـال أبـو هريـرة رضـي الله عنـه: '' لأن أرابـط ليلـة في سـبيل الله أحـب إلي مـن أن أوافـق

ليلة القدر عند الحجر الأسود ".

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل"، رواه النسائي والترمذي وحسنه الألباني.

رواه ابن ماجه إلا أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها"، وحسنه الألباني.

عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: قال عثمان في مسجد الخيف بمنى: أيها الناس إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثاً كنت كَتَمْتُكُمُوهُ ضنًّا بكم وقد بدا لي أن أبديه نصيحة لله ولكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه فلينظر كل امرئ منكم لنفسه"، حسنه الألباني.

قال ابن النحاس:" وفي حديث عثمان هذا دليل واضح على أن إقامة المرابط يوما واحدا بأرض الرباط أفضل من الإقامة ألف يوم في غيره من الأماكن، سواء كان مكة أو المدينة، أو بيت المقدس ولهذا خاف عثمان رضي الله عنه أن يتفرق الناس عنه إذا أعلمهم بذلك رغبة في الرباط، والإقامة ببلاده، ولولا أنه يعلم أن ذلك يعم مكة والمدينة لما خاف تفرقهم وخروجهم من المدينة إلى بلاد الرباط ".

قال المناوي: "فجعل حسنة الجهاد بألف وأخذ البعض من تعبيره بالجمع المحلى بلام الاستغراق أن المرابط أفضل من المجاهد في المعركة وعكسه بعضهم مجيبا بأن الحديث في حق من فرض عليه الرباط وتعين بنصب الإمام قال في المطامح".

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى تترك ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك ومن مات مرابطا جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة"، رواه الطبراني في

الكبير وحسنه الألباني.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: ''أولُ هذا الأمرِ نبوةٌ ورحمةٌ، ثمَّ يكونُ خلافةٌ ورحمةٌ، ثمّ يكون مُلكاً ورحمةً، ثمّ يتكادمون عليه تكادُم الحُمُرِ، فعليكُم بالجهادِ، وإن أفضل جهادِكم الرِّباطُ، وإن أفضلَ رباطِكم عسقلانُ''، أخرجه الطبراني وصححه الألباني.

عن فَضَالَةَ بْنُ عُبَيْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ''كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر''، رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال الإمام السرخسي رحمه الله: ''ومعنى هذا الوعد في حق من مات مرابطا – والله أعلم – أنه في حياته كان يُؤمِّن المسلمين بعمله، فيجازَى في قبره بالأمن مما يخاف منه، أو لَمَّا اختار في حياته المقام في أرض الخوف والوحشة لإعزاز الدين، يُجازَى بدفع الخوف والوحشة عنه في القبر'' انتهى.

عن أنس بن مالك مرفوعا ''رباط يوم في سبيل الله أفضل من قيام رجل و صيامه في أهله شهرا''، رواه أحمد أبو حزم الحنبلي في الفروسية وصححه الألباني.

قال أبو أمامة وجبير بن نفير: ''بأنه يأتي على الناس زمان أفضل الجهاد الرباط، قيل: وما ذلك ؟ فقال: إذا انخفض الغزو، وكثرت الغرائم، واستحلت المغانم، فأفضل الجهاد يومئذ الرباط''.

قال ابن العربي: ''والأمن من فتنة القبر فضيلة عظيمة لم تعط إلا للشهيد والمرابط''.

قال أحمد: ''ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط دفع عن المسلمين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، فالرباط أصل الجهاد وفرعه، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة''.

قال بن حبيب: ''الرباط شعبة من الجهاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر''.

وخرّج الخطيب في تاريخ بغداد، وأبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن مُحمَّد بن الفضيل بن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: أي العمل وجدت أفضل ؟ قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم، قلت: فما صنع بك ربك ؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ ''ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس الحرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله''، السلسة الصحيحة.

وعن أم الدرداء رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: ''من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة''، رواه الإمام أحمد وفيه ضعف.

رباط السلف:

الناظر إلى السلف لم يجعلوا حياتهم في طلب العلم، بل كانوا يرابطون ويغزون في سبيل الله لما يعلموا من فضائلهما.

- هذا كعب بن عجرة. مر به سلمان الفارسي وهو مرابط في بعض أرض فارس فسأله سلمان: مالك هاهنا ؟ قال: مرابط. قال: أفلا أخبرك بأمر سمعته من رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا في سبيل الله أجير من فتنة القبر وأجري عليه صالح عمله إلى يوم القيامة"، تأريخ دمشق.
- وعن القاسم أبي عبد الرحمن أنه قال: زارنا سلمان الفارسي فصلى الإمام الظهر ثم خرج وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي فوقفنا نسلم عليه فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه أن ينزل به فقال: أني جعلت نفسي مرتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد فلما قدم سأل عن أبي الدرداء فقالوا: هو مرابط فقال: وأين مرابطكم؟ فقالوا: في بيروت فتوجه قبله فقال لهم سلمان: يا أهل بيروت ألا أحدثكم حديثا يذهب الله به عنكم غرض الرباط ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا في سبيل الله أجير من عذاب القبر وجرى له صالح ما كان يعمل إلى يوم القيامة"، تأريخ دمشق.
- قال ابن عساكر: المحفوظ أن إبراهيم بن أدهم توفي سنة ثنتين وستين ومائة وقال غيره إحدى وستين وقيل سنة ثلاث والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم وذكروا أنه توفي في جزيرة من جزائر الروم وهو مرابط وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحوا من عشرين مرة وفي كل مرة يجدد الوضوء بعد هذا وكان به البطن فلما كانت غشية الموت قال أوتروا لي قوسي فأوتروه فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمي به إلى العدو رحمه الله وأكرم مثواه. البداية والنهاية.

- ابن المبارك الذي كان يرابط شهرين أو أكثر في السنة، يدع تجارته ومجالس الحديث ويخرج للرباط، لأنه لم يرابط طيلة عمره وانشغل بالعلم عن الرباط، فماذا يقول الذين لم يطلقوا طلقة واحدة في سبيل الله؟!
- عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي المعروف بالزاهد. أبو مُحَّد. قال أبو العرب: كان ثقة. كان أولاً بزازاً. ثم لزم الرباط، حتى مات. ترتيب المدارك.
- مفضل بن عياش بن سليمان بن أيوب الخولاني مولاهم، جياني. يعرف بابن الطويل. كان حافظاً للمذهب المالكي، خرج الى الثغور، فرابط بها. الى أن مات.
- قال سحنون: كان عبد الله بن وهب قد قسم دهره أثلاثاً، ثلثاً في الرباط، وثلثاً يعلم الناس بمصر. وثلثاً في الحج. وذكر أنه حج ستاً وثلاثين حجة. قال ابن وهب جعلت على نفسي كلما اغتبت إنساناً صيام يوم، فهان علي، فجعلت عليها إذا اغتبت إنساناً علي صدقة درهم فثقل علي وتركت الغيبة.
- عثمان بن إدريس ابن عبد الله بن السلطان عبد الحق بن مجبو، البطل الضرغام، فارس الإسلام، مقدم الجيوش أبو سعيد بن أبي العلاء المريني. قائد جيش غرناطة، وهو الذي أبلى يوم الكائنة العظمى سنة تسع عشرة وسبع مئة، ونصر الله فيها الإسلام، و أباد جيوش الفرنج.

قيل: إنه شهد مئتي غزوة وأربعاً وثلاثين غزوة. وتوفي رحمه الله تعالى وهو مرابط، وكان من أبناء الثمانين. أعيان العصر وأعوان النصر.

- صلاح الدين الأيوبي يقول صاحب كتاب النوادر السلطانية: وكان رحمه الله يمرض ويصح وتعتريه أحوال مهولة وهو مصابر مرابط وتتراءى النيران ونسمع منهم صوت الناقوس ويسمعون منا صوت الأذان إلى أن انقضت الوقعة على أحسن حال وأيسره قدس الله روحه ونور ضريحه.
- قال الحسن بن حميد المرعشي: دخلنا على رجل من الغرباء في بعض الثغور وهو يكيد بنفسه، فقيل له: كيف تراك؟ فقال:

غريــــب وحيــــد والمنــــايا تحثــــه إلى منــــزل قفــــر بغــــير أنــــيس

فقلنـا: أبشـر رحمـك الله فـإن الغربـة شـهادة، ولا سـيما وأنـت مـرابط في سـبيل الله، فبكـى طـويلاً ثم قـال: والله لـولا طمعـي في كرمـه وعفـوه لتقطعـت نفسـي مـن شـدة الغصـص والحسـرات فمـا برحنـا مـن عنـده حـتى فاضـت نفسـه رحمـه الله. بغيـة الطلب في تأريخ حلب.

دعائم الرباط:

قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قال الشيخ عبد الله عزام:

"الله عز وجل ربط الفلاح في الدنيا بعوامل ثلاث: الصبر، والرباط، والتقوى.

والصبر والتقوى دعامتان أساسيتان من دعائم الرباط، لأنه ما من عبادة أصعب من الرباط أبداً، لأنها فراغ وانتظار، وتبقى شهر، شهرين، ثلاثة، ستة أشهر، جالساً في رؤوس الجبال أو في قعر واد لا ترى إلا هؤلاء الأربعة أو الخمسة الذين معك في الخيمة، الحقيقة صعبة على الإنسان، يستوحش والنفس بطبيعتها تحب الخلطة مع الناس، نعم تحب رؤية الناس، تأنس برؤية الناس الذين عرفتهم، تستوحش إذا غابت الأمهات والآباء والأصدقاء والخلان، وعن المدن والعمارة وعن السيارة وغير ذلك، تستوحش إلا إذا أنساها الله عز وجل، وإلا إذا شرح صدورها للعبادة التي هي فيها، ولذلك الله عز وجل كان يشرح صدور الصالحين للعزلة، فيحبون أن يكونوا بعيدين عن الناس للعبادة لطلب العلم للذكر، فكيف إذا اجتمع الذكر والعبادة والرباط والجهاد والخلوة ؟ هذه نعمة لا نظير لها أبداً، الرباط أو الجهاد مع الخلوة أفضل طريقين دل عليهما الرسول – صلى الله عليه وسلم –: قالوا: يا رسول الله من أفضل الناس ؟ قال: "رجل مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله" قالوا: ثم أيّ؟ قال: "رجل معتزل بشعب من الشعاب يعبد الله ويتقي الناس من شره" فأنتم جمعتم الاثنتين، جمعتم الجهاد في سبيل الله، وجمعتم عبادة الله عز وجل في شعب، مكانكم هو شعب هو انفراج بين جبلين، يعبد الله ويدع الناس ويتقي الناس من شره، فالرباط قائم على الصبر، والنفس التي ليس لها صبر لا تستطيع أن تزاول العبادات، والنفس التي ليس لها صبر ليس لها إيمان كامل، وإنما الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أنه لا جسد بلا رأس فإنه لا إيمان بلا صبر لأن كل العبادات

تحتـاج إلى صـبر، مكابـدة الليـل وقيـام الليـل تحتـاج إلى صـبر، القيـام لصـلاة الصـبح تحتـاج إلى صـبر، الصـوم يحتـاج إلى صـبر، الحـج يحتـاج إلى صـبر، الإعـداد يحتـاج إلى صـبر، فـلا بـد مـن الصبر".

فائدة الرباط:

فائدة الرباط أن يُعلم أنك لم تغفل عن عدوك وأنك لن تترك العدة والاستعداد له إلى أن يأتي بالمداهمة، ولكن تكون أنت مستعدّاً لها في كل وقت، والرباط لا يكون فقط أن ترابط بالخيل للعدو المهاجم هجوما ماديا، بل المرابطة تعني: الإعداد لكل ما يمكن أن يَرُدَّ عن الحق صيحة الباطل، فمن المرابطة أن تعد ناشية قوية متسلحة بسلاح الإيمان وسلاح العدة من أجل نصرة الإسلام والمسلمين، فمن كان في معسكرات التدريب ليعد هؤلاء فهو مرابط، ومن المرابطة أن تعد الناشئة الإسلامية لوافدات الإلحاد قبل أن تفد، لماذا؟

لأن المسألة ليست كلها غزواً بخيل وسلاح وعُدَد، فقد يكون الغزو بالفكر الذي يتسرب إلى النفوس من حيث لا تشعر، فإذن لابد أن تكون أيضاً في الرباط الذي يمد المؤمن بقدرة وطاقة المواجهة بحيث إذا جاءت قضية من قضايا الإلحاد التي قد تفد على المؤمنين، يكون عند كل واحد منهم الحصانة ضدها والقدرة على مواجهتها.

أيهما أفضل الرباط أم الجوار بالحرمين:

حكى ابن المنذر في الأوسط عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، أنه سئل: المقام بمكة أحب إليك أم الرباط؟

قال: الرباط أحب إلي.

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله: " ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط؛ دفع عن المسلمين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، والرباط أصل الجهاد وفرعه ".

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرَّفها الله تعالى؟

الجواب: "الحمد لله المرابَطَة في ثُغور المسلمين وهو المقَام فيها بنيَّة الجهاد أفضلُ من المجاوَرَة في الحرمين باتِّفاق أئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم. وليست هذه المسألة من المشكلات عند من يعرف دين الإسلام؛ ولكن لكثرة ظهور البدع في العبادات وفساد النِّيَّات في الأعمال الشَّرعيات صار يَخْفَى مثل هذه المسألة على كثير من الناس، حتى صاروا يُعَظِّمون الأماكنَ التي كان المسلمون يُعَظِّمونها لكونها ثُغُورًا ظانِّين أن تعظيمها لأمور مبتدعة في دين الإسلام، فاستبدلوا بشريعة الإسلام بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان. فإنه يوجد في كلام السلف وحكاياتهم في ذِكْر غزة وعسقلان والإسكندرية وجبل لبنان وعكَّة وقزوين، ومن أمثال ذلك، ومن وجود الصالحين بها ما يُوجِبُ شرف هذه البقاع.

وإنما كان ذلك لكونها كانت ثُغُور المسلمين، فكان صالِحُو المسلمين يتناوبونها لأجل المرابطة بها، لا لأجل الاعتزال عن الناس وسكنى الغِيْران والكُهُوف، أو نحو ذلك مما يظنّه الجهال أهل البدع والضلال...

فالثغور هي البلاد المتاخمة للعدو من المشركين وأهل الكتاب التي يُخِيفُ العدو أهلها ويُخيف أهلها العدو، والمرابطة بها أفضل من المجاورة بالحرمين باتفاق المسلمين. كيف والمرابطة بها فرض على المسلمين إمَّا على الأعيان وإما على الكفاية.

وأما المجاورةُ فليست واجبة باتفاق المسلمين، بل العلماء متنازعون هل هي مستحبَّة أم مكروهة؟ فاستحبها طائفة من العلماء من أصحاب مالك والشافعي، وكرهها آخرون كأبي حنيفة وغيره، قالوا: لأن المقَام بها يُفْضي إلى الملْكِ لها، وأنه لا يأمن من مواقعة المحظور؛ فيَتَضاعف عليه العذاب. ولأنه يضيق على أهل البلد '' أ هـ.

وقال أيضاً: ''وما زال خيار المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم من بعدهم من الأمراء والمشايخ يتناوبون الثغور لأجل الرِّبَاط، وكان هذا على عهد أبي بكر وعثمان أكثر، حتى كان عبد الله بن ''غير موجود في الأصل'' وغيره مُرابطين.

وكان عمر مَنْ يسأله عن أفضل الأعمال إنما يَدُلُّه على الرباط والجهاد، كما سأله عن ذلك من سأله، كالحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وأمثالهم، ثم كان بعد هؤلاء إلى خلافة بني أمية وبني العباس. ولهذا يُذْكَرُ من فضائلهم وأخبارهم في الرباط أُمُور كثيرة.

وكانوا على طريقتين:

إحداهما: أن يُرابط كل قوم بأقرب الثُّغور إليهم، ويقاتلون من يليهم. كقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾.

وهذا اختيار أكثر العلماء كالإمام أحمد وغيره...

وبالجملة إن السَّكَن بالثغور والرِّباط والاعتناء به أمر عظيم، وكانت الثغور معمورة بخيار المسلمين علمًا وعملاً، وأعظم البلاد إقامة بشعائر الإسلام وحقائق الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان كل من أحب التبتل للعبادة والانقطاع إلى الله وكمال

الزهد والعبادة والمعرفة يدلُّونه على الثغور. "أ.هـ

ويقول الله تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

جاء في صحيح مسلم أن سبب نزول هذه الآية هو اختلاف الصحابة في أعظم العبادات أجرا أهو سقاية الحاج أم عمارة المسجد الحرام أم الجهاد في سبيل الله؟

المجاهد يجد أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره والمرابطة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها إذ كلما طالت المدة في المرابطة كلما بدأ الملل يتسرب إلى النفوس المتوقدة ويبدأ الحماس يخبو يوما بعد يوم إن لم تجد النفس من العبادات والزاد الروحي ما يحفظ عليها حماسها.

والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة بوضوح خاصة بين الذين يفدون إلى الجهاد من بعيد يتركون زينة الحياة الدنيا وزخارفها وبريق الأماني ولمعانها يعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها.

أرسل عبد الله بن المبارك رحمه الله بقصيدته الجميلة المعروفة للفضَيل بن عياض؛ حيث كان فضيل في مكة ملازماً للحرم الشريف ـ الذي تعادل الصلاة فيه مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ـ وكان ابن المبارك مرابطاً في الثغور في طرسوس.. ومما جاء في قصيدته، قوله:

يا عابــــد الحـــــرمين لـــــو أبصـــــرتنا	لعلمـــت إنـــك في العبـــادة تلعـــب
مـــن كـــان يخضـــب خـــده بدموعـــه	فنحـــــورنا بـــــدمائنا تتخضـــــب
أو كـــان يتعـــب خيلـــه في باطـــل	فخيولنـــا يـــوم الصـــبيحة تتعـــب
ريـــح العبـــير لكـــم ونحـــن عبـــيرنا	رهـــج الســـنابك والغبـــار الأطيـــب
ولقـــــد أتانا مـــــن مقـــــال نبينـــــا	قـــول صـــحيح صـــادق لا يكـــذب
لا يســـــتوي وغبـــــار خيــــل الله في	أنـــف امـــرئ ودخـــان نار تلهـــب
هـــــذا كتـــــاب الله ينطـــــق بيننـــــا	لـــيس الشـــهيد بميـــت لا يكـــذب

ولما ألقي بكتاب ابن المبارك إلى الفضيل وكان في الحرم، قرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

أهل الرباط هم أهل الهداية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان الصبر واليقين – اللذين هما أصل التوكل – يوجبان الإمامة في الدين كما دل عليه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم. كما دل عليه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ؛ ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم ؛ لأن الله يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وفي الجهاد أيضا: حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا. وفيه أيضا: حقيقة الإخلاص. فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا. وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾" أ هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً في الفتاوى الكبرى: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا" أ هـ.

أي يشترط في الذي يفتي في أمور الجهاد: أن يكون قادرا على الاستنباط مخلصاً، وأن يعرف طبيعة المعركة وأحوال أهلها.

وقال ابن جرير في تفسيره: "لنهدينهم سبلنا، يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمّداً صلى الله عليه وسلم".

وجـاء في أضـواء البيـان للشـنقيطي رحمـه الله ''ذكـر جـلَّ وعـلا في هـذه الآيـة الكريمـة أن الـذين جاهـدوا فيـه، أنـه يهـديهم إلى سـبل الخـير والرشـاد، وأقسـم علـى ذلـك بـدليل الـلام في قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾''.

أيهما أفضل الرباط أم الجهاد:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "فرض الجهاد لسفك دماء المشركين، والرباط لحقن دماء المسلمين، وحقن دماء المسلمين أحب إلي من سفك دماء المشركين".

قال المرداوي في الإنصاف:"... وقال أبو بكر في التنبيه الرباط أفضل من الجهاد لأن الرباط أصل والجهاد فرعه لأنه معقل للعدو ورد لهم عن المسلمين وأطلقهما في الرعايتين والحاويين" أ هـ.

في فيض القدير تحت حديث "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل" قال المناوي: "فجعل حسنة الجهاد بألف وأخذ البعض من تعبيره بالجمع المحلى بلام الاستغراق أن المرابط أفضل من المجاهد في المعركة وعكسه بعضهم مجيبا بأن الحديث في حق من فرض عليه الرباط وتعين بنصب الإمام قال في المطامح: اختلف هل الأفضل الجهاد أم الرباط والحديث يدل على أن الرباط أفضل لأنه جعله الغاية التي ينتهي إليها أعمال البر والرباط بحقن دماء المسلمين والجهاد بسفك دماء المشركين فانظر ما بين الدمين حتى يصح لك أفضل العملين " أ هـ.

وفي حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني قال: " فقيل هو"أي الرباط" أفضل ؛ لأن فيه حقن دماء المسلمين، وحقن دمائهم أفضل من سفك دماء المشركين، وقيل الجهاد أفضل ؛ لأن فيه الرباط، وزيادة ؛ ولأن فيه سفك دماء المشركين، وتأول ابن رشد أن ذلك بحسب الواقع وشدة الحاجة إلى الرباط وعدمها، فلا يقال: إن أحدهما أفضل من الآخر على الإطلاق، وأفضل مدته أربعون ليلة لحديث ورد فيه ولا حد لأكثره. قال الشيخ في شرحه ويظهر لي فضل الجهاد على الرباط، لمزية من ذهب للقتال على من مكث في محل الخوف، وأفضل العبادات أحمزها أي أشقها " أ هـ.

أفضل الرباط:

قال الإمام أحمد رحمه الله: "أفضل الرباط أشدها كَلَبَاً" أي: خوفاً وخطراً، وذلك لحاجة المسلمين إلى سده، ولشدة الخوف وتعريض النفس للتلف.

وقد ضعف مالك رحمه الله أمر الرباط بجدة، لأن العدو إنما نزل فيها مرة واحدة، وقد سئل مالك عن سكان الثغور والسواحل بالأهل والولد، فقال: ليسوا بمرابطين، وإنما الرباط لمن خرج من منزله متعمدا للرباط في موضع الخوف.

وقال القرطبِيّ في تفسيره: "المرابط عند الفقهاء هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما. أما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هنالك فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين" أ هـ.

"إذا ثبت ذلك فرباط الرجل نفسه هو أن يترك وطنه ويلزم ثغرا من الثغور المخوفة لمعنى الحفظ وتكثير السواد وأما من كان وطنه الثغر فليست إقامته به رباطا رواه ابن حبيب عن مالك ووجه ذلك أن يحبس نفسه ويقيم لهذا الوجه خاصة فإن أقام لغير ذلك فإنه بمنزلة تصرفاته فلم يربط نفسه لمدافعة العدو وليس كذلك رباط الخيل فإن جمهور الناس يستغني عن اتخاذها هذا الذي ذكره أصحابنا قال القاضي أبو الوليد رحمه الله: وعندي أن من اختار المقام والاستيطان بالثغر وموضع الخوف للرباط خاصة وأنه لولا ذلك لأمكنه المقام بغير ذلك من البلدان له حكم الرباط والله أعلم" المنتقى.

يكره نقل النساء والذرية إلى الثغور المخوفة:

قال ابن قدامة: "فصل: ومذهب أبي عبد الله كراهة نقل النساء والذرية الى الثغور المخوفة وهو قول الحسن و الأوزاعي لما روى يزيد بن عبد الله قال: قال عمر: لا تنزلوا المسلمين ضفة البحر رواه الأثرم باسناده ولأن الثغور المخوفة لا يؤمن ظفر العدو بها وبمن فيها واستيلاؤهم على الذرية والنساء قيل لأبي عبد الله: فتخاف على المنتقل بعياله إلى الثغر الاثم ؟ قال: كيف لا أخاف الاثم وهو يعرض ذريته للمشركين؟ وقال: كنت آمر بالتحول بالأهل والعيال الى الشام قبل اليوم فأنا أنهى عنه الآن لأن الأمر قد اقترب وقال: لا بد لهؤلاء القوم من يوم قيل: فذلك في آخر الزمان قال: فهذا في آخر الزمان قيل: "فالنبي صلى الله عليه و سلم كان يقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قال: هذا للواحدة ليس الذرية" وهذا من كلام أحمد محمول على أن غير أهل الثغر لا يستحب لهم الانتقال بأهلهم إلى ثغر مخوف فأما أهل الثغر فلا بد لهم من السكنى بأهلهم لولا ذلك لخربت الثغور وتعطلت وخص الثغور المخوفة بدليل أنه اختار سكنى دمشق ونحوها مع كونها ثغرا لأن الغالب سلامتها وسلامة أهلها " أ هـ.

هل للرباط حد معين؟:

قال الفقهاء: تمام الرباط: أربعون يوما فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "تمام الرباط أربعون يوما"، وهذا حديث ضعيف.

وروي عن أبي هريرة: "من رابط أربعين يوما فقد استكمل الرباط".

وهذا محل اتفاق بين الفقهاء ولم نقف على خلاف.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قدم على عمر من الرباط، فقال: كم رابطت ؟ قال: ثلاثين يوما، فقال عمر: عزمت عليك ألا رجعت حتى تتمها أربعين يوما.

وإن رابط أكثر فله أجره.

أما أقل الرباط فقد اختلفوا فيه: فقال الحنابلة: إن أقل الرباط ساعة.

وقال ابن حجر في فتح الباري: أقل ما يجزئ يوم أو ليلة، وقال: لأنه قيد اليوم في الحديث، وأطلق في الآية، فكأنه أشار إلى أن مطلق الآية مقيد بالحديث ؛ لأنه يشعر بأن أقل الرباط يوم، لسياقه في مقام المبالغة وذكره مع سوط يشير إلى ذلك "الموسوعة الفقهية".

ـ قال الإمام أحمد: "يوم رباط وليلة رباط وساعة رباط فلو ناب عن أصحابه وقتاً يسيراً لصدق عليه أنه مرابط" وكلما كان الزمن أطول كان الأجر أعظم ".

ـ وروي من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: "من رابط وراء بيضة المسلمين وأهل ذمتهم أربعين يوماً رجع من ذنوبه كيومَ ولدته أمه"، حديث ضعيف.

إذا ذهب الخوف هل يعد رباط:

كـان الثغـر رباطـا لموضـع الخـوف ثم ارتفعـت المخافـة لقـوة الإسـلام بـذلك الموضـع أو بعـد العـدو عـنهم فـإن حكـم الـرباط يـزول عـنهم وقـد سـئل مالـك عمـن جعـل شيئا في سـبيل الله أيجعلـه في جـدة؟ قـال: لا. قيـل لـه: فإنـه قـد كـان بهـا خـوف قـال: فإنـه قـد ذهـب. المنتقى.

من رابط وأهله معه:

قال ابن النحاس: "والذي يظهر لي والله أعلم أن من كان ساكنا بثغر لا يربطه فيه إلا توقع الجهاد أو قصد الحراسة، ولو شاء أن يرحل عنه لرحل من غير مشقة عليه في الرحيل أنه مرابط، وله أجر الرباط، وإن كان معه أهله وولده أو كان له فيه سبب بشرط أن يكون لو عرض عليه زوجة أجمل من زوجته، أو سبب أوسع من سببه أو غير ذلك بمكان ليس بثغر، لما خرج من الثغر رغبة فيما عرض عليه، فإن الأعمال بالنيات.

وما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يسكنون الثغور بأهلهم وأولادهم بنية الرباط، ولعل مالكا رضي الله عنه إنما يعني بذلك من ولدوا بالثغور، ونشأوا بها، وكانت إقامتهم فيها لوجود أهاليهم، وحبا لأوطانهم، وغبطة بما هم فيه من الأسباب والأنشاب من غير قصد لهم في الرباط، لأنه قد أجاز خروج الرجل بأهله إلى الرباط.

وفي كلام أبي مُحَّد بن عطية ما يشعر بذلك، فإنه قال في تفسيره: فأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعمرون، ويكسبون هنالك فهم وإن كانوا حماة، فليسوا بمرابطين، انتهى، والله أعلم.

وأما من نزل ثغرا وأقام فيه لإقامة رئيسه، بحيث لو رحل رئيسه لرحل هو أيضا، أو لسبب يغبط به نفسه لا يتهيأ له في غير الثغر، أو لزوجة لا ترحل معه إلى غيره، أو لوظيفة ومنصب، ورزق ونحو ذلك، بحيث لو أراد التحول إلى غيره لشق عليه ذلك، ولو امتنع توقع العدو، والجهاد من ذلك الثغر لما رحل عنه، لرغبته فيما هو فيه، أو لو وجد رزقا وسببا أوسع من رزقه وسببه بمكان آخر.

لتحول من ذلك الثغر إليه، فإن هذا ليس بمرابط وليس له من أجر الرباط شيء، إذ الرابط له في الثغر إنما هو سبب آخر غير الجهاد.

ولعل مالكا رضي الله عنه إنما أراد هذا وأمثاله، وربما يثاب هذا على نية الجهاد إن كان نيته أن يقاتل لو نزل عدو، لأن ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فإن كانت إقامته بالثغر لسبب غير الجهاد، وللجهاد أيضا، ولو أراد أن يتحول منه لأمكنه من غير

مشقة، وكان بحيث لو امتنع الجهاد من ذلك الثغر لرحل إلى ثغر يتوقع فيه الجهاد.

ولو تعطل سببه لرحل أيضا إلى مكان آخر يجد فيه سببا وإن لم يكن ثغرا، فهذا لا يخلو إما أن يكون ذلك السبب من ضرورات المعيشة أو يكون سببا زائدا على قدر الكفاية يمكنه الاستغناء عنه، فإن كان تحصل له الكفاية بدونه، ونيته الرحيل لو فقده، فإنه ليس بمرابط على ما تقتضيه قواعد جماعة من السلف '' أ هـ.

وقال ابن حجر في فتح الباري:'' إذا نوى بالإقامة في أي مكان وإن كان وطنه دفع العدو، فإنه يكون مرابطا، قال: ومن ثم اختار كثير من السلف سكنى الثغور. وعزا إلى ابن التين أنه قال: الرباط ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم، بشرط أن يكون غير الوطن، وعزا ذلك إلى ابن حبيب عن مالك'' أ هـ.

قال القرطبي في تفسيره: ''وأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك فهم وإن كانوا حماة فليسوا مرابطين ''.

والصحيح ما رجحه ابن النحاس والحافظ ابن حجر لوجود المناط وهو الخوف فالسكن في حد ذاته فيه خوف سواء كان الإنسان مع أهله أم بمفرده لاسيما في هذا العصر الذي الحرب فيه مختلف عن حروب الأزمنة المتقدمة التي كانت بالسيوف، أما الآن فالقذائف تصل إلى كل مكان والله أعلم.

الانشغال بالذكر في الرباط:

عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصاب رجلٌ من المسلمين امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها، وكان غائباً، فلما أُخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم دماً، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فقال: مَن رجلٌ يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار قالا:نحن يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: فكونا بفم الشِعب. قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه نزلوا إلى شعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أَحبُّ إليك أن أكفيك، أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله. قال: فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى زوجُ المرأة، فلما رأى شخص الرجل، عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهمٍ آخر فوضعه فيه فنزعه وثبت قائماً يصلي، ثم عاد له الثالثة فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع فسجد، ثم أهب صاحبه وقال: اجلس فقد أُتيت، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذر به هرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟! قال: كنت في سورة أقرأها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع علي الرمي ركعت فآذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها"، رواه أبوداود.

فهذا الصحابي الجليل عبّاد بن بشر رضي الله تعالى عنه وأرضاه تتقطع نفسه، ويتمزق جسده، وتنتثر دماؤه وهو ثابتٌ على ثغره، مشغولٌ بكتاب ربه، ولولا خوفه أن تفتلت نفسُه فيضيع ثغر المسلمين لما أوقظ صاحبه، فأي تربية هذه التي تعلم هؤلاء الجند الربانيين السمو الروحاني الذي ما بعده سمو، وما هذا الانضباط العسكري الذي يعرف الجندي المسلم به متى يقف عند حد استطاعته لا جُبناً عن الموت ولكن حفظاً لمصلحة

الجماعة، والتزاماً بمنظومة الأسباب التي أُمر بتحصيلها.

إن فعل هذا الصحابي الجليل هو مدرسة عسكرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ مدرسةٌ في الإعداد المعنوي، ومدرسةٌ في الإعداد المادي، ومدرسةٌ في الانضباط العسكري، ومدرسةٌ في العمل الجماعي، إنها مدرسةٌ ربانيةٌ مُحَّديةٌ تجمع خصائص النص القرآني البديع ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:''فأمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء، ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت، وإن قلت وكثر عدوها، أحدها الثبات، الثاني كثرة ذكره سبحانه وتعالى. الثالث طاعته وطاعة رسوله، الرابع اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منها وحده كسرها كلها. الخامس ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر. فهذه خمسة أشياء تبتني عليها قبة النصر. ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها. وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضاً، وصار لهم أثر عظيم في النصر. ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد والبلاد. ولما تفرقت في من بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم '' أ هـ.

قال ابن القيم في الوابل الصيِّب:"إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذكر ؛ وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل " أ هـ.

رفع الأصوات بالتكبير في الرباط:

قال ابن المنذر في كتابه الأوسط: "قال أشهب: سألت مالكا عن رفع الأصوات بالتكبير على الساحل في الرباط بحضرة العدو أو بغير حضرتهم، هل يكره أو يسمع الرجل نفسه؟ فقال: أما بحضرة العدو فلا بأس وذلك حسن وبغير حضرتهم على الساحل فلا بأس بذلك أيضا، إلا أن يكون رفعه صوته يؤذي الناس، لا يستطيع أحد أن يقرأ ولا يصلي فلا أرى ذلك، وقال الليث بن سعد، كان من مضى يكبرون في محاربهم يتقوون به على الحرس وسهر الليل، ولم نر أحدا يعيب ذلك حتى كان حديثا.

وقال ابن القاسم: سئل مالك عن القوم يكونون في الرباط يهللون ويكبرون على الساحل ويطربون بأصواتهم، قال: أما التطريب فلا يعجبني، وأما أن يهللون ويكبرون - يريد إذا كان الحرب - فلا أرى به بأسا وأراه حسنا" انتهى. مشارع الأشواق.

واستدل بعضهم بقول رسول الله ﷺ حينما رأى "خيبر" خرجوا بالمِساحِي: "الله أكبر -ثلاث مرات- خَرِبَتْ خيبرُ؛ إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فَسَاءَ صباحُ المنذَرين".

قال النووي: "فيه استحباب التكبير عند اللقاء".

إذا مات وهو في طريقه إلى الرباط:

قال ابن كثير في تفسيره: ''وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ومن خرج من منزله بنية الهجرة، فمات في أثناء الطريق، فقد حصل له من الله ثواب من هاجر، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن، من طريق يحيي بن سعيد الأنصاري عن مُحَّد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وَقّاص الليثي، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: '' إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه''.

وهذا عام في الهجرة وفي كل الأعمال.

ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نَفْسًا. ثم أكمل بذلك العابد المائة، ثم سأل عالما: هل له من توبة؟ فقال: ومن يَحُول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه، فلما ارتحل من بلده مهاجرا إلى البلد الآخر، أدركه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال هؤلاء: إنه جاء تائبا. وقال هؤلاء: إنه لم يَصِلْ بَعْدُ. فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب كان منها، فأمر الله هذه أن يُقرب من هذه، وهذه أن تبعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بِشِبْر، فقبضته ملائكة الرحمة. وفي رواية: أنه لما جاءه الموت ناء بصدره إلى الأرض التي هاجر إليها '' أ هـ.

قال الأستاذ المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله: '' قوله تعالى ''وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ - ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ - فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ''.. أجره كله. أجر الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام.. فماذا بعد ضمان الله من ضمان؟

ومع ضمانة الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب. وهذا فوق الصفقة الأولى.

﴿وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

إنها صفقة رابحة دون شك. يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى – خطوة الخروج من البيت مهاجرا إلى الله ورسوله – والموت هو الموت. في موعده الذي لا يتأخر. والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة.

ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده. ولخسر الصفقة الرابحة. فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة. بل هنالك الملائكة تتوفاه ظالما لنفسه! وشتان بين صفقة وصفقة! وشتان بين مصير ومصير! '' أ هـ.

قال الشيخ عبد الله عزام: ''قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إذا مت في بيشاور وقع أجرك على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجرا إلى الله ورسوله''وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ'' ثم يزيد رب العالمين ''وكان الله غفورا رحيما'' مغفرة ورحمة، لأنك خرجت مهاجرا إلى الله ورسوله، مت على الطريق فأنت مع نيتك، مت في بيشاور أنت محبوس للجهاد، فأنت مرابط، مت في ترمنكل، مت في طريق إسلام آباد، في الطائرة، في أي مكاني، فقد وقع أجره على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجرا إلى الله ورسوله فأدركك الموت..

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾.

ماتوا في بيشاور أو في إسلام آباد، أو قتلوا ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ ليس ''قتلوا'' فقط..

﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً

يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

سيدخلهم الجنة إن شاء الله سيدخله الله الجنة ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ والمدخل الذي يرضونه هو الجنة ''.

قال السبكي كما في فتاويه: '' ولو فرضنا أن شخصا خرج من بيته لقصد الجهاد في سبيل الله فمات في الطريق بغير سبب من أسباب القتال فقد وقع أجره على الله كما في المهاجر وهل هو كالمجاهد حقيقة أو دونه ؟ ليس هذا موضع الكلام فيه ، ولكن نقول فيه إنه لا يسمى شهيدا ولا أنه تحصل له هذه الحالة التي تحصل للشهيد من شهوده الكرامة قبل موته ونحوها، لأن التسمية لم ترد فيه أو تسمى سنذكره بعد ذلك ، وإن قلنا بأنها للمقتول ظلما والمطعون والمبطون وغيرهم ممن يأتي ذكره ولورود النص بإطلاق الاسم، ودع يكون الميت في طريق الجهاد أكثر أجرا إن ثبت ذلك فخواص الشهيد لا نثبتها إلا لمن ورد النص بإطلاقها عليه سواء أكان أكثر أجرا أم لا. واعلم أن الوسائل لها حكم المقاصد ولكنها ليست في رتبتها فالمجاهد الذي قتل في سبيل الله له اسم الشهيد والخاصة الحاصلة له من تلك الحالة الشريفة والأجر الحاصل في الآخرة ، والذي خرج من بيته بهذه النية ومات قبل بلوغها يشاركه في أصل أجر الجهاد وفضل الشهادة بلا شك بالقياس وبالأولية الكلية العامة في ذلك ، وأما مساواته له في الأجر ففيه نظر قد يقال: وقد يتوقف فيه ولا نجزم بالمنع ; لأن فضل الله واسع ، وأما وقوع اسم الشهيد عليه فالظاهر المنع ; لأن الأسماء لا تؤخذ بالقياس وأما ثبوت تلك الحالة له فالأمر فيها محتمل من باب الأجر المرتب وإن لم يحصل اسم سببها '' أ هـ.

وكلام السبكي كلام جيد ومتين.

من مات في الرباط من دون قتل:

في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ''من مات مرابطا مات شهيدا''.

قال مُحَمَّد بن الحسن في السير: ''يعني له من الثواب ما للشهيد لأنه بذل نفسه لابتغاء مرضاة الله تعالى، صابرا على المرابطة حتى أتاه اليقين ''.

وقال ابن النحاس رحمه الله:'' جرت السنة في معاملة الله عبيده بفضله وكرمه، أن من توجه بصدق إلى شيء من القربات فمنعه منه القدر الإلهي مع شدة حرصه عليه، وتصميم قصده في طلبه، إن الله يعطيه يوم القيامة أجر تلك القربة، تفضلا منه وإحسانا لحسن قصده لإخلاص نيته وصدق طويته، والدليل على ذلك أن من خرج مجاهدا فمات كان شهيدا، كما سيأتي في بابه إن شاء الله وكذلك من حج فمات كتب حاجا.

وقد قال في المحرم الذي سقط عن بعيره فمات: ''إنه يبعث يوم القيامة ملبيا''.

وكذلك قوله ''من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه''. رواه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه من حديث.

وأشباه هذه الأحاديث كثيرة، والمرابط إنما رابط توقعا للشهادة وتعرضا لبذل نفسه في نيلها، فلا جرم أنه إذا مات يبعث شهيدا، ويؤيد هذا ما وهبه الله من خصائص الشهداء، وهو إجراء الرزق عليه، والأمان من فتنة القبر، ومن الفزع الأكبر، ونحو ذلك، فلو لم يرد حديث مصرح بأنه يبعث شهيدا لكان مما يستنبط من هذه القاعدة، فكيف وقد روي في ذلك عدة أحاديث، وإن كانت لا تسلم من مقال، فهي تتعاضد وتقوى بكثرة الطرق، ويؤيدها القاعدة المذكورة، والله أعلم. ومنها: ما روي أن المرابط إذا مات في رباطه يمر على الصراط كهيئة الريح بغير حساب ولا عذاب'' أ هـ.

وفي حـديث أم حـرام بنـت ملحـان الـذي فيـه قـول الرسـول ﷺ: ''عجبـت مـن قـوم مـن أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة'' الحديث.

قـال النـووي في شـرح مسـلم: ''واسـتدل بعـض العلمـاء بهـذا الحـديث علـى أن القتـال في سـبيل الله تعـالى والمـوت فيـه سـواء في الأجـر ؛ لأن أم حـرام ماتـت ولم تقتـل، ولا دلالـة فيـه لـذلك؛ لأنـه ﷺ لم يقـل: إنهـم شـهداء إنمـا يغـزون في سـبيل الله، ولكـن قـد ذكـر مسـلم في الحـديث الـذي بعـد هـذا بقليـل حـديث زهـير بـن حـرب مـن روايـة أبي هريـرة '' مـن قتـل في سـبيل الله فهـو شـهيد '' ومـن مـات في سـبيل الله فهـو شـهيد. وهـو موافـق لمعـنى قـول الله تعـالى ﴿وَمَـنْ يَخْـرُج مِـنْ بَيْتـه مُهَـاجِرًا إِلَى اللَّه وَرَسُـوله ثُمَّ يُدْرِكـهُ الْمَـوْت فَقَـدْ وَقَـعَ أَجْـره عَلَـى اللَّه﴾.

قيمة الوقت في الرباط:

قال تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ قال بعض المفسرين: "المعنى إذا أتممت عملا من مهام الأعمال فأقبل على عمل آخر بحيث يعمر أوقاته كلها بالأعمال العظيمة".

لا تقل أنا مجاهد وخلاص يكفيني أجر الرباط الذي لا يساويه عمل، لا، هذا من تلبيس الشيطان، فالصحابة بشروا بالجنة ومع هذا كانوا يتنافسون على العمل كما حصل بين الصديق والفاروق ﷺ أجمعين.

قال عبد الله بن عبد الملك: كنا مع أبينا "أي ابن عمر" في موكبه، فقال لنا: سبحوا حتى تأتوا تلك الشجرة، فنسبح حتى نأتيها، فإذا رفعت لنا شجرة أخرى قال: كبروا حتى تأتوا تلك الشجرة، قال عبد الله: فكان يصنع ذلك بنا.

قال ابن الجوزي: "وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة، أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر،.... ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر في الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج، ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

علينا أن نرتقي بأوقاتنا كل يوم، كان بعض السلف يقول: من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًا من أمسه فهو ملعون!.

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: "فاثبتوا ولا تضيعوا أوقاتكم، ولا تَدَعوا الشيطان يتسلل إلى قلوبكم، فأنت مهاجر، ومرابط، وخرجت في سبيل الله من بيتك، مهاجرا في

سبيل الله، فإن أدركك الموت فأنت على ما خرجت عليه، ويبعثك الله على نيتك وخاتمتك التي ختمت عليه، فنومه ونبهه أجر كله، و"رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل"، كل يوم هنا بألف يوم في بلادك، اليوم بألف، حديث حسن رواه عثمان – رضي الله عنه –: "رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه" كل يوم بشهر، احسب، الشهر بثلاثين شهرا، مائة يوم بمائة شهر، فكلما ربطت نفسك فإنما تربطها في بحر من الحسنات، فاجمع ما شئت، اجمع...! استبقوا الخيرات.

فيا أيها الإخوة:

اشتغلوا بالطاعة، فتدخل الطاعة على الطاعة، ويزيد الثواب على الثواب، القرآن الكريم، كل يوم جزء، قيام الليل إذا استطعت، صلاة الجماعة، الذكر، عدم الكلام إلا بالخير، الصحبة الطيبة باستمرار، المطالعة في دين الله، تربية الروح بالعبادة، تربية الجسد بالرياضة، وتربية العقل بالثقافة، واجعلوا نياتكم خالصة لله ؛ أنها هجرة لله وفي سبيل الله، ولعل الله عز وجل يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، إنه كريم جواد حليم " أ هـ.

رصد ومتابعة الجواسيس من الرباط:

قال الشيخ أبو يحيى الليبي تقبله الله: ''الحرب التي يخوضها المجاهدون مع الجواسيس هي أشرس المعارك وأخطرها وأعسرها، لكثرة انتشارهم، وشدة تخفيهم، وعظيم نكايتهم، واختلاف صفاتهم وتقلب أحوالهم، وعدم تمايزهم '' أ هـ.

وإن من المهام العظيمة التي تتعلق بالترصد والمرابطة على ثغور المسلمين مراقبة وترصد الجواسيس والعيون الذين يتطلعون على عورات المسلمين وأسرارهم التي تمس أمن الدولة الإسلامية، بحيث لا يُسمح لأحد أن يهدد أمن المسلمين بنقل خبرٍ أو كشف سرٍ يضر بجماعة المسلمين، فعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: أتى النبيَّ ﷺ عينٌ من المشركين وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث، ثم انفتل، فقال النبي ﷺ: ''اطلبوه واقتلوه''، فقتلتُه فنفله سلبه''، رواه البخاري، والعين هو الجاسوس، والسلب: ما يغنم من الحربي المقتول في الحرب.، وعن علي رضي الله عنه يقول:''بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ اسم موضع بين مكة والمدينة فإن بها ظعينة الظعينة: المرأة تكون في الهودج معها كتاب فخذوه منها. قال: فانطلقنا تَعادَى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لَتُخرِجِنَّ الكتاب أو لَنُلقِيَنَّ الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم..'' الحديث، متفق عليه.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: ''وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم، سواء كان رجلاً أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة، أو كان في الستر مفسدة، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا يفوت به مصلحة، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر '' أ هـ.

وقـال القاضـي عيـاض رحمـه الله: "وفيـه جـواز التجسـس علـى الجواسـيس، ومـن يبغـي ضرر المسلمين، وجواز الاطلاع على كتبهم" أ هـ.

فهـذه الأحاديـث وغيرهـا تبـين دور القائـد المسـلم وجنـود الإسـلام في حراسـة وأمـن الدولـة الإسـلامية، وتبـين لنـا شـرع الله تعـالى في قطـع دابـر هـؤلاء وخطـرهم، وهـل أُتي المسـلمون علـى مـدى التـاريخ إلا مـن قبـل ضـعاف النفـوس الـذين يبيعـون ديـنهم بـدنيا غـيرهم، ألا فلينتبه المسـلمون اليـوم مـن هـؤلاء، وليكونـوا علـى حـذرٍ مـن أن نـؤتى مـن داخلنـا ومـن بـين ظهرانينـا، وإن خطـر هـؤلاء لا يمكـن درؤه إلا بأمـرين؛ أولهمـا الترصـد لهـم وكشـف تحركـاتهم، وثانيهمـا إرهـابهم بالقـوة والعـدة الـتي يعـدها المجاهـدون للجهـاد، كمـا قـال تعـالى ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِــنْ دُونِهِــمْ لَا تَعْلَمُــونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُــمْ﴾ فهـؤلاء الــذين مــن دون عــدو الخــارج والــذين لا نعلمهــم هــم المنــافقون الــذين يتربصــون ويتتبعــون عــورات المســلمين ليــدلوا حلفــاءهم مــن الكفــار عليهــا، ولأجــل هــذا نــص العلمــاء علــى عــدم توليــة أهــل الذمــة أي شــيء مــن الـولايات العامـة أو الخاصـة، لا سيما تلـك الـتي يطلعـون مـن خلالهـا علـى أسـرار المسـلمين، فتأمـل هـذا ثم ارث لحـال المسـلمين اليـوم وقـد عـلا بنيـان الباطـل بـين أظهـرهم، واستأسـدت فئـران الكفـر علـيهم، واستنسـر البغـاث بأرضـهم، فكـان الحـذر اليـوم مـن هـؤلاء أجـدر، ودرء خطرهم عن المسلمين أولى، والله المستعان وحده على ذلك. حي على الجهاد.

بث العيون في وسط العدو من الرباط:

لا خلاف بين الفقهاء أنه ينبغي لأمير الجيش بعث الجواسيس وإرسال الطلائع لكشف خبر العدو ومعرفة قدرته العسكرية وخططه في القتال وهذا كان دأب النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته.

في الصحيح عن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا. ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا. ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا. ثم قال: "إن لكل نبيٍ حوارياً، وإن حواري الزبير"، صحيح البخاري.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث:"وفي الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد، وفيه منقبة للزبير، وقوة قلبه، وصحة يقينه" فتح الباري – 53/6، رضي الله عن الزبير وأرضاه، فهذا بابٌ عظيمٌ حقاً من أبواب الجهاد، والخوف على النفس فيه كبير، ولكن النفوس تهون في سبيل مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومخاطرة المرء بنفسه في سبيل نصرة جيش الإسلام يسيرة، وها نحن اليوم نعيش حملةً همجيةً رعناء تحارب الإسلام والمسلمين في كل مكان، ونرى أن ما يسمى بالحرب الإعلامية جزءٌ محوري من هذه الحرب، وإن قيمة المعلومات الميدانية التي يأتي بها المجاهد عن أحوال العدو في أرضه وداره لا تقدر بثمن، وإذا احتاج المجاهد أن يرابط في بلاد الكفر مدةً يتحسس ويتجسس فيها ما يكون مدداً معلوماتياً مهماً لجند المسلمين، فنرجو أن يكون ذلك من جنس الرباط والله أعلم، ونرجو لصاحبه عند الله تعالى الأجر والمثوبة، والحمد لله".

على المرابط أن يستعيذ بالله من الجواسيس:

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة". رواه أبو داود والنسائي.

قيل أفحش الزمانة عدم الأمانة وقال الأحنف: الزم الأمانة يلزمك العمل وقيل الخيانة خزي وهوان ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ورب حيلة على صاحبها وبيله والبطانة بكسر الباء خلاف الظهارة ثم استعيرت لمن يخصه الرجل بالإطلاع على باطن أمره والتبطن الدخول في الأمر فلما كانت الخيانة أمراً يبطنه الإنسان ويستره ولا يظهره سماها بطانة.

وعن عقبة بن عامر - ﷺ - قال: كان رسول الله - ﷺ - يقول: "اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة". رواه الطبراني وهو في صحيح الجامع.

الرباط علاج للأمراض:

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: ''جلست أتحدث مع بعض الإخوة قائلا: حدثني كثير من الإخوة العرب أن لديهم أمراضا مزمنة شفيت في الجهاد فهل وجدتم هذا حقا في مسيرتكم المباركة، قالوا: نعم.

قال عبد المجيد: كان عندي ربو أتعبني في السنة الأخيرة فعافاني الله منه في الجهاد.

قال سهم: كانت عيني مصابة وأعيتني الحيلة في مراجعة الأطباء ولم تشف إلا في الجهاد.

وقال القعقاع: كان عندي روماتيزم وعافاني الله في الجهاد ورغم برودة الجو التي يتوقع منها أن تزيد الروماتيزم.

وقال عبد الله الجزائري: عندي إمساك دائم ينعكس على رأسي وجعا ما كنت أطيق الدراسة بسببه فعافاني الله في الجهاد. وقال أبو مصطفى: كان عندي حساسية شديدة فخفت كثيرا والحمد لله. وقال أبو الحسين: كثير من الهموم والوساوس والتوجعات تنجلي في ميدان الرباط والمعركة.

وقال إبراهيم: كنت مصابا بالرعاف الدائم الذي يتصبب منه الدم تصببا والآن اختفى أو يكاد فالحمد لله حمد الشاكرين.

وقال أبو برهان: لقد كان لدي مغص لم يهتد الأطباء إلى كنهه وعلاجه فعافاني الله في الجهاد.

وقال أبو اليسر: عندي انغلاق في صمام القلب وكنت إذا صعدت بعض الدرج أشعر بالتعب، وأما الآن فلا أشعر بالتعب رغم أننا نتسلق شواهق الجبال وقمم الرواسي.

وقد حدثني غيرهم، مثل أبي الحسن: أن آلام الركب كانت تبرح بي وكانت تنتفخ وتمتلئ بالسوائل إذ أن عندي مرض ''Ortho Plastic Strain'' فمشيت إلى

كابل ولم أصب بأي ألم، مع أنني قبل الجهاد كنت أحيانا أجلس في البيت أياما لا أتحرك. وقال لي باد شاه ل، كان عندي مرض سيلان البول فعافاني الله منه ''.

وقال أيضاً: ''الأمراض التي شفي منها العرب: أبو برهان كان فيه مرض شديد جداً وهو مغص معدة لا يفارقه، منذ أن جاء هنا للجهاد انتهى المرض، كثير منهم عندهم روماتيزم ربو هذا قاري سعيد الجزائري، قال لي: طيلة الشتاء في المدينة المنورة والنصف الخلفي من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل الذي هو المخيخ هذا مع النخاع المستطيل، كأنك تضع فيه شطة، فلفل، يؤلمني ثم ذهب إلى تخار في الثلوج، هناك ثمانية أشهر الثلوج تبقى ولم يحس بألم، عاش في الثلوج وعمل الدورة في داخل الثلوج ثلاثة أشهر لم يشعر بأي ألم.

كثير من الإخوة بعضهم رجله تؤلمه وبعضهم غريف وبعضهم روماتيزم وبعضهم ربو، وكلهم يقولون لي ما شفي إلا في الجهاد، لا يشفى إلا في الجهاد، وكتبتها تحت عنوان البلسم الشافي، قصص هؤلاء، فيعني قصصهم أصبحت الآن متواترة ولا مجال لمنكر أن ينكر، أما الذي يعيش يعد الدراهم هذا صعب جداً عليه أن يصدق كثير من هذه الكرامات ويعتبر هذه من الخرافات أو من الصوفية أو من غير ذلك، كما يحلو له أن يفسر، ولكن الله عز وجل حرمه من المجيئ للجهاد حتى من تصديق قصص أهل الجهاد ماذا نصنع له؟''.

السعادة الحقيقية في أرض الرباط:

وهي كما يقول أحد العلماء:"شيء معنوي لا يرى بالعين ولا يقاس بالكم ولا تحتويه الخزائن ولا يشترى بالدنيا، هي شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير ".

لابد أن تفهم نقطةً مهمةً جداً، أنت منتصر، وإن كنت ممن ترى القتل والقصف في صفك فليس حقيقة الانتصار الفتح، وإلا لما قال الله تعالى بعد صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

يقول الزهري: الله عز وجل سماه فتحا عظيما، مع أنه لم يدخلوا مكة وهو مرادهم.

الحجاج عندما قتل سعيد أبن جبير رحمه الله، هل حصلت السعادة للحجاج؟

أبدا، كان يقول: مالي ولسعيد، وكان يقوم من الليل فزعا حتى مات.

إذا من هو المعذب؟ ومن هو المنهزم؟

ولذلك قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي بالسعادة.

السعادة وجدها عبد الله بن جحش الشهيد المجدع، يأتي في غزوة أحد فيسمع سعد بن أبي وقاص يدعو الله ويقول: اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه أقاتله فيك فأقتله وآخذ سلبه، فرفع عبد الله بن جحش يديه إلى السماء وقال: يا رب إني أسألك أن ترزقني رجلاً شديداً بأسه فأقاتله فيك، فيقتلني فيك، ويجدع أنفي، ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب فقلت لي: يا عبد الله فيم جدع أنفك وقطعت أذنك؟ فأقول: فيك يا رب، فو الله ما انتهت المعركة إلا وعبد الله بن جحش شهيداً في سبيل الله قد جدع أنفه وقطعت أذنه.

هكذا كان سلف هذه الأمة لما عرفوا حقيقة اللذة والسعادة والراحة، ويوم اتصلوا

بالله فعرفهم الله منازل الصديقين كان قائلهم يقول: ''والله إنا لفي لذة وفي نعيم لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف''.

يقول ابن القيم: ''قال لي الشيخ ابن تيمية مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، اين رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وقال لي في السجن: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه''.

الرابط وهو يقتل أين ذاهب؟ إلى الله، بخٍ، بخ ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني أحد هؤلاء.

وقال آخر: إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب.

وقال ابن تيمية: ''إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجنة بقوله: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر''.

أحدهم يكتب وهو في جبال أفغانستان ''أنا هنا رغم الطائرات، رغم الدبابات، رغم القصف المستمر ليلا ونهارا، ورغم البرد الشديد، ورغم الجوع، إلا أني في قمة السعادة وراحة الضمير، لأني أشعر أني أفعل أحب الأعمال إلى الله، وأن الله لا يضيع أجر العاملين، وهذا الجهاد هو الوحيد الذي يستطيع به الإنسان أن يقدم أعمالا ترضي الله وترجع لهذه الأمة أمجادها''.

حق له أن يقول هذا ومن جرب تجربته عرف مثل معرفته.

فضل الجراح في الرباط:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون دم، والريح ريح مسك"، متفق عليه.

وفي لفظ آخر:"كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت تفَجَّر دماً، اللون لون دم والعرف عرف المسك".

والكلم، بفتح الكاف وإسكان اللام، هو: الجرح. والعرف، بفتح العين وإسكان الراء: هو: الرائحة. وقوله: "يثعب" بإسكان الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وآخره باء موحدة، معناه يتفجر كما جاء في الرواية الأخرى

قال النووي:" قوله ﷺ: " والله أعلم بمن يكلم في سبيله، هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، قالوا: وهذا الفضل، وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار، فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة، وقطاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك. والله أعلم " أ هـ.

يقول أحد المجاهدين: وقد ذكر الشهيد عبد الله عزام بعض هذه النماذج فقال: "لقد رأينا هذا من كثير من الشهداء رائحة دمائهم كالمسك مثل: يحي سنيور/ جدة، وهشام الديلمي/ اليمن، وعبد الواحد البغماني، وقد كانت في جيبي رسالة عليها نقاط من دم عبدالواحد، وبقيت شهرين ورائحتها كالمسك.

ولقد كنت ممن شهد يوم استشهاد الشيخ عبد الله عزام، ورأينا كيف عبق المسك من دمه الزكي، بل ومن نعم الله التي يتحدث بها في هذا المقام أنه: بعد استشهاد الشيخ عزام بأكثر من شهرين، وبعد عودتي من سفر خارج بيشاور ذهبت لزيارة أولاده، واذا بزوجة الشهيد مُحَمَّد – وهي ابنة شقيقتي – تقول لي: أريد أن احضر لك كتابا من مكتبة

خـالي، وبالفعـل جـاءت بكتـاب ؛ الـدفاع عـن أراضـي المسـلمين أهـم فـروض الاعيـان ''وفتحـت الكتـاب، وقالـت: هـل تشـم شـيئا داخـل الكتـاب؟ فقلـت سـبحان الله !! هـذا المسـك الـذي عبـق مـن دم الشـهيد، وحـاول الأخ أبـو عبـادة بعـد ان شـم رائحـة المسـك داخـل الكتـاب، – وقـال: هـذه رائحـة المسـك الـتي وجـدتها مـن دمـاء الشـهداء داخـل أفغانسـتان –أن يأخـذ مغلفـا ويضـع الكتـاب ليخرجـه الى النـاس، فقلـت لـه: لا تخرجـه فـان بخروجه تخرج هذه الكرامة.

''لـيس شـيء أحـب إلى الله مـن قطـرتين أو أثـرتين، قطـرة دمعـة مـن خشـية الله، وقطـرة دم تهـراق في سـبيل الله، وأمـا الأثـران فـأثر في سـبيل الله، وأثـر في فريضـة مـن فـرائض الله''، رواه الترمذي وصححه الألباني.

صيام يوم في الرباط:

عن أبي سعيد ﷺ قال، سمعت النبي ﷺ، يقول: "من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا"، متفق عليه.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "فيه فضيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول على من لا يتضرر به ولا يفوت به حقاً ولا يختل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه المباعدة عن النار والمعافاة منها والخريف السنة والمراد سبعين سنة" أهـ.

قال المناوي في فيض القدير: "أي نجاه منها أو عجل إخراجه منها قبل أوان الاستحقاق، عبر عنه بطريق التمثيل ليكون أبلغ لأن من كان مبعداً عن عدوه بهذا القدر لا يصل إليه ألبتة.

"سبعين خريفاً": سنة أي نحّاه وباعده منها مسافة تقطع في سبعين سنة إذ كل ما مرّ خريف انقضت سنة، فهو من إطلاق اسم البعض على الكل، وذكر الخريف من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخصه دون غيره من الفصول لأنه وقت بلوغ الثمار وحصول سعة العيش، وذلك لأنه تحمّل مشقة الصوم ومشقة الغزو فاستحق هذا التشريف".

وقال ابن الجوزي: "إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد ".

وقال في النهاية: "سبيل الله عام يقع على كل خالص لله سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه ".

وفي الحديث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: "من صام يوما في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام"، أخرجه النسائي والطبراني وصححه الألباني.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صام يوما في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض"، رواه

الترمذي، وصححه الألباني. قال ابن النحاس: ''وقد كان كثير من السلف يصومون في الجهاد، ويقاتلون ولا يفطرون، احتسابا لذلك عند الله وطلبا لمرضاته ورغبة في جزيل ثوابه، وستأتي جملة من ذلك متفرقة ''.

روى ابن المبارك عن السري بن يحي، عن ثابت البناني، أن فتى غزا زمانا وتعرض للشهادة، فلم يصبها، فحدث نفسه، فقال ؟ والله ما أراني إلا لو قفلت إلى أهلي فتزوجت، قال: ثم قال: في الفسطاط، ثم أيقظه أصحابه لصلاة الظهر، قال: فبكى حتى خاف أصحابه أن يكون قد أصابه شيء، فلما رأى ذلك قال: إني ليس بي بأس، ولكنه أتاني آت قبيل وأنا في المنام، فقال: انطلق إلى زوجتك العيناء، قال ؟ فقمت معه، فانطلق بي في أرض بيضاء نقية، فأتينا على روضة فما رأيت روضة قط أحسن منها، فإذا فيها عشر جوارٍ، ما رأيت مثلهن قط أحسن منهن، فرجوت أن تكون إحداهن، فقلت: أفيكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواريها، قال: فمضيت مع صاحبي، فإذا روضة أخرى يضعف حسنها على حسن التي تركت، فيها عشرون جارية، يضاعف حسنهن على حسن الجواري اللاتي خلفت، فرجوت أن تكون إحداهن فقلت: أفيكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا، ونحن جواريها، حتى ذكر ثلاثين جارية.

قال: ثم انتهيت إلى قبة من ياقوتة حمراء مجوفة قد أضاء لها ما حولها، فقال لي صاحبي: ادخل، فدخلت فإذا امرأة ليس للقبة معها ضوء، فجلست فتحدثت ساعة، فجعلت تحدثني، فقال صاحبي: اخرج انطلق، قال: ولا أستطيع أن أعصيه، قال: فقمت، فأخذت بطرف ردائي، فقالت: أفطر عندنا الليلة، فلما أيقظتموني رأيت إنما هو حلم، فبكيت، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل، قال: فركب الناس فما زالوا يتطاردون حتى إذا غابت الشمس وحل للصائم الإفطار، أصيب تلك الساعة، وكان صائما وظننت أنه من الأنصار، وأن ثابتا كان يعرف نسبه.

الغبار في الرباط:

عن عبد الرحمن بن جبر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار"، رواه البخاري.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم"، رواه الترمذي وصححه الألباني.

الرباط لأسر أسير:

يقول الله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 5].

قال الحافظ ابن جرير الطبري -رحمه الله في تفسيره: ""وخذوهم" يقول: واسروهم، "واحصروهم" يقول: وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة،"واقعدوا لهم كل مرصد"، يقول: واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم"كل مرصد" يعني: كل طريق ومرقَب، وهو "مفعل" من قول القائل: "رصدت فلانًا أرصُده رَصْدًا"، بمعنى: رقبته ".

قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى:﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ المرصد: الموضع الذي يرقب فيه العدو، يقال: رصدت فلانا أرصده، أي رقبته. أي اقعدوا لهم في مواضع الغرة حيث يرصدون.

وفي هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة".

قال العلامة طاهر بن عاشور -رحمه الله في التحرير والتنوير: "والأخذ: الأسر، والحصر: المنع من دخول أرض الإسلام إلا بإذن من المسلمين، والقعود مجاز في الثبات في المكان، والملازمةِ له، لأن القعود ثبوت شديد وطويل، فمعنى القعود في الآية المرابطة في مظانّ تطرق العدوّ المشركين إلى بلاد الإسلام، وفي مظان وجود جيش العدوّ وعُدته.

والمرصد مكان الرَصْد. والرصْد: المراقبة وتتبع النظر.

و"كل " مُستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، تحذيراً للمسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد فيأتيهم العدوّ منها، أو من التفريط في بعض ممارّ العدوّ فينطلق الأعداء آمنين فيستخفّوا بالمسلمين ويتسامع جماعات المشركين أنّ المسلمين

ليسوا بذوي بأس ولا يقظة، فيؤول معنى ''كل'' هنا إلى معنى الكثرة للتنبيه على الاجتهاد في استقصاء المراصد ''.

فضل الحراسة في سبيل الله تعالى:

وقال ابن النحاس: ‘‘واعلم أن الحراسة في سبيل الله من أعظم القربات، وأعلى الطاعات، وهي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط ‘‘.

وقال تعالى ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ‘‘تعس عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وان شفع لم يشفّع ‘‘ رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:’’ معنى ‘‘ فهو في الحراسة ‘‘ أي فهو في ثواب الحراسة وقيل هو للتعظيم أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلا بخويصة عمله وقال ابن الجوزي: المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فإن اتفق له السير سار ؛ فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقة استمر فيها’’.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: لأن أبيت حارسا خائفا في سبيل الله عز وجل، أحب إلي من أن أتصدق بمائة راحلة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ‘‘ألا أنبئكم ليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله’’، رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري وصححه الألباني.

عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا، قـال: سمعـت رسـول الله – ﷺ –، يقـول: ''عينـان لا تمســهما النــار، عــين بكــت مــن خشــية الله وعــين باتــت تحــرس في ســبيل الله''، رواه الترمذي.

وعــن ســهل ابــن الحنظليــة رضــي الله عنــه أنهــم ســاروا مــع رســول الله ﷺ يــوم حنــين فـأطنبوا السـير حـتى كـان عشـية فحضـرت صـلاة الظهـر مـع رسـول الله ﷺ فجـاء فـارس فقـال يا رسـول الله إني انطلقـت بـين أيـديكم حـتى طلعـت علـى جبـل كـذا وكـذا فـإذا أنا بهــوازن علــى بكــرة أبــيهم بظعــنهم ونعمهــم ونســائهم اجتمعــوا إلى حنــين فتبســم رســول الله ﷺ وقـال: ''تلـك غنيمـة المسـلمين غـدا إن شـاء الله تعـالى'' ثم قـال: ''مـن يحرسـنا الليلـة'' قـال أنـس بـن أبي مرثـد الغنـوي: أنا يا رسـول الله. قـال: ''اركـب'' فركـب فرسـا لـه وجـاء إلى رسـول الله ﷺ فقـال لـه رسـول الله ﷺ: ''اسـتقبل هـذا الشـعب حـتى تكـون في أعـلاه ولا تغـرن مـن قبلـك الليلـة'' فلمـا أصـبحنا خـرج رسـول الله ﷺ إلى مصـلاه فركـع ركعتـين ثم قـال: ''هـل أحسسـتم فارسـكم'' قـالوا: يا رسـول الله مـا أحسسـناه. فثـوب بالصـلاة فجعـل رسـول الله ﷺ يصـلي وهـو يلتفـت إلى الشـعب حـتى إذا قضـى رسـول الله ﷺ صـلاته وسـلم قـال: ''أبشـروا فقـد جـاء فارسـكم'' فجعلنـا ننظـر إلى خـلال الشـجر في الشـعب فـإذا هـو قـد جـاء حـتى وقـف علـى رسـول الله ﷺ فقـال: إني انطلقـت حـتى كنـت في أعلـى هـذا الشـعب حيـث أمـرني رسـول الله ﷺ فلمـا أصـبحت اطلعـت الشـعبين كلاهمـا فنظـرت فلـم أر أحـدا فقـال لـه رسـول الله ﷺ: ''هـل نزلـت الليلـة'' قـال: لا إلا مصـليا أو قاضـي حاجـة، فقـال لـه رسـول الله ﷺ: ''قـد أوجبـت فـلا عليـك أن لا تعمـل بعـدها''، رواه النسـائي وأبـو داود واللفظ له وصححه الألباني.

أوجبت: أي أتيت بفعل أوجب لك الجنة.

أخـرج ابـن عسـاكر عـن أرطـأة بـن المنـذر: أن عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه قـال لجلسـائه: أي النـاس أعظـم أجـرا؟ فجعلـوا يـذكرون لـه الصـوم والصـلاة ويقولـون: فـلان وفـلان

بعد أمير المؤمنين ! فقال ألا أخبركم بأعظم الناس أجرا ؟ ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين ؟ قالوا: بلى، قال: رويجل بالشام آخذ بلجام فرسه يكلأ ويحرس من وراء بيضة المسلمين لا يدر: أسبع يفترسه ؟ أم هامة تلدغه ؟ أم عدو يغشاه ؟ فهذا أعظم أجرا ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين...!!

قال الشيخ مُحَمَّد المختار الشنقيطي: ''ومن هنا قال العلماء: من سعى في حراسة المسلمين أثناء نومهم وحرس أعراضهم أو كان يعس في الليل، فإنه لا يبعُد أن ينال من الأجر ما هو قريب من الرباط؛ لأن مثل هذه الثغرات التي يخاف الناس فيها على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم بلاؤها عظيم، ومن هنا كان بعض السلف ويُروَى عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه كان يرى أن تأمين السبل للحجاج والمسافرين خوفاً ممن يقطع الطريق عليهم أفضل من جهاد الطلب وذلك لعظيم البلاء فيه'' أ هـ.

التناوب في الحراسة:

يتناوب أكثر من فرد الحراسة ليلا خشية النعاس، وقال رسول الله ﷺ: "عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله". رواه الترمذي

وكتب أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى يزيد بن أبي سفيان في مسيره بالجيش لقتال الروم قال: "وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غَفَل عن محرسه أدِّبه وعاقبه في غير إفراط، واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار". الكامل لابن الأثير.

لا يجوز الانصراف من الحراسة إلا بإذن:

ولا يغادر المرابط من موقعه إلا بإذن أمير الموقع، لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

وقد استدل الإمام البخاري بهذه الآية على وجوب استئذان العسكر للأمير، فقال رحمه الله: "باب استئذان الرجل الإمام" لقوله تعالى.. وذكر الآية ـ ثم أورد حديث جابر بن عبد الله أن كان في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال جابر "فقلت يا رسول الله، إني عروس فاستأذنته فأذِنَ له فتقدمت الناس إلى المدينة".

قد علمنا ما أصاب المسلمين من الهزيمة يوم أُحُد بسبب انصراف الرماة من مواقعهم دون إذن الإمام الرسول ﷺ الذي قال لهم: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمْنا القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم".

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني: "لا يخرج من العسكر لتعلف وهو تحصيل العلف للدواب ولا لاحتطاب ولا غيره إلا بإذن الأمير، لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ ولأن الأمير أعرف بحال الناس وحال العدو ومكانتهم ومواضعهم وقربهم وبعدهم، فإذا خرج خارج بغير إذنه لم يأمن أن يصادف كمينا للعدو فيأخذوه أو طليعة لهم أو يرحل الأمير بالمسلمين ويتركه فيهلك " أ هـ.

الفرار من الرباط:

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"، رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: "غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع".

قال أنس: "فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه" قال أنس: "كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه؛ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، رواه البخاري.

قال ابن حزم رحمه الله في المحلى: "ولا يحل لمسلم أن يفر عن مشرك، ولا عن مشركين ولو كثر عددهم أصلا ؛ لكن ينوي في رجوعه التحيز إلى جماعة المسلمين إن رجا البلوغ إليهم، أو ينوي الكر إلى القتال، فإن لم ينو إلا تولية دبره هاربا فهو فاسق ما

لم يتب، قال الله عز وجل: '' يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم''..... وعن عمر بن الخطاب: ''إذا لقيتم فلا تفروا''. وعن علي، وابن عمر: ''الفرار من الزحف من الكبائر''. ولم يخصوا عددا من عدد، ولم ينكر أبو أيوب الأنصاري، ولا أبو موسى الأشعري أن يحمل الرجل وحده، على العسكر الجرار ويثبت حتى يقتل..'' انتهى.

قال الجصاص رحمه الله: ''ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم، وأنفسهم، وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم''.

وقال القرطبي رحمه الله: ''ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضاً الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ولا خلاف في هذا''.

فإذا كان أغار العدو على الذراري واستحل الدماء فيحرم الفرار والانسحاب بل يجب الثبات في الثغور حتى لا تستباح الأعراض.

الإعلاميون والرباط:

الإعـلام: أداة تفـاهم تقـوم علـى تنظـيم التفاعـل بـين النـاس الإعـلام يُكـوّن في المجتمـع المواقف والاتجاهات ويُغيّر القناعات والسلوك كما يفعل التعليم بالضبط.

الحـرب ليسـت مقتصـرة على الحـرب العسكرية فحسـب، بـل الاعـلام يعـد وسيلة مهمـة بـل وفي غايـة الاهميـة لمحاربـة الأعـداء، وهـي الـتي يسـتخدمها الاعـداء في حـربهم علـى المسلمين.

الأعـداء يجيشـون لهـا جيوشـاً مـن جنـودهم مـن "السـحرة، شـيوخ السـلطان، الكتَّـاب، الصحفيون، الإعلاميون".

كعب بن الأشرف لعنه الله: كانت حربه للنبي ﷺ حربا إعلامية.

قـال شـيخ الإسـلام في الصـارم المسـلول: "سـبه للنـبي ﷺ وهجـاؤه لـه ولدينـه أيضـا ممـا يهـيجهم علـى المحاربـة ويغـريهم بـه فعلـم أن الهجـاء فيـه مـن الفسـاد مـا في غـيره مـن الكـلام وأبلغ فإذا كان غيره من الكلام نقضا فهو أن يكون نقضا أولى ".

ولهـذا عُـدَّ مـن أهـل الجهـاد الشـاعر الـذي يـذب عـن المسـلمين وعـن أعراضـهم كحسـان بن ثابت رضي الله عنه.

قـال الآجـري رحمـه الله: "فـإن العلمـاء بعلـومهم، والحكمـاء بحكمـتهم، والصـالحون بوصـاياهم، هـم – بإذن الله – نجـوم هاديـة لمـن سـار في الليـالي المظلمـة، ودفـة محكمـة لمـن خـاض عُبـاب البحـار الموحشـة، وغيـثٌ مـدرارا يأتي علـى الأرض الهامـدة، فتهتـز وتربـو ثم تنبـت مـن كـل زوج بهـيج "، فهـم بحـق " سـراج العبـاد، ومنـار الـبلاد وقـوام الأمـة، وينـابيع الحكمـة وهـم غـيظ الشـيطان، بهـم تحيـا قلـوب أهـل الحـق، وتمـوت قلـوب أهـل الزيـغ، مـثلهم في الأرض كمثـل النجـوم في السـماء يهتـدي بهـا في ظلمـات الـبر والبحـر، إذا انطمسـت النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا ".

انظر ماذا قال: "لحكماء بحكمتهم" ويدخل في الحكماء أصحاب الإعلام، لأنهم يحكمون إغاظة الأعداء بإصداراتهم ومنشوراتهم البديعة.

وإن أحد مظاهر الحرب الصليبية الجديدة، هي تكميم الأفواه وكسر أقلام الحق والاتجاه بالإعلام العالمي إلى اتجاه أحادي النبرة لا يحسن إلا الهرولة والتصفيق والرقص للإرهاب الصليبي في العالم، فبعدما كانت أمريكا تتبجح بحرية الرأي وتعدد الاتجاهات الإعلامية فيها وهذا الأسلوب كان يدعم حربها ضد المعسكر الشيوعي –، فإذا بها تنقلب على ما تسميه القيم الأمريكية لتكمم الأفواه ليس في أمريكا فحسب بل في العالم أجمع ابداءً من استدعاء أشهر إذاعي في أمريكا كايل هافونز حيث وجهت له تهديداً مباشراً بوقف برنامجه إذا استمر في إتاحة المجال أمام انتقاد البعض لسياسة الرئيس جورج بوش في أفغانستان والشرق الأوسط، مروراً بفصل ثلاثة صحفيين أمريكيين مشهورين من وظائفهم لأنهم تجرؤوا على اعتبار الحرب الأمريكية ضد الإرهاب حرب ظالمة تتعامى عن حل جذور المشكلة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واتهم الصحفيون بأنهم لم يلتزموا الخط الوطني في التعامل مع قضية استراتيجية تتعلق بالأمن القومي للبلاد، انتهاءً بتوجيه خطابات تهديد مبطن لصحفيين و محللين سياسيين في شبكة السي إن إن و صحيفتي الواشنطن بوست والنيويورك تايمز لخروجهم عن الخطوط الإعلامية المرسومة من الرئيس بوش.

قال الشيخ أسامة تقبله الله: "وهناك فئة الإعلاميين وأصحاب القلم الذين لهم الأثر البارز والدور الكبير في توجيه المعركة، وكسر معنويات العدو، ورفع معنويات الأمة.

لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح، ويقوم بدوره المطلوب في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة بجميع وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتّاباً كانوا أم صحفيين أم محللين أم مراسلين أن يكونوا على مستوى المسئولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصير الأمة، وبيان حقيقة العدو، وكشف مخططاته وألاعيبه وأن

يقفوا صفاً واحداً بكل توجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرق بين فئة وأخرى، فهدفه القضاء على كل من له علاقة بالعروبة والإسلام ''.

قال الشيخ عبد الله عزام تقبله الله: ''جاء بعض الصحفيين الفرنسيين وغيرهم إلى بنجشير فعلا وجدوا ''بعض المجاهدين'' يحطم دبابات روسيا، في معركة واحدة يحطم أربعين... خمسين، فوق رأسه ثلاثمائة طائرة، وأمامه خمسمائة دبابة، وهو بالأسلحة الخفيفة واقف أمامها، رجع هؤلاء الصحفيون الفرنسيون والغربيون كتبوا رأينا الله في أفغانستان.

أرسل الحزب الشيوعي رجلا صحفيا كاثوليكيا إيطاليا إلى داخل أفغانستان حتى ينقل أخبار المعارك في داخل أفغانستان، عندما رأى أن المجاهدين يقصفون بطائرات الميج ''32'' وبالطائرات الحديثة وبأعتى وأفتك الأسلحة التي ابتدعها العقل البشري، قصف، قصف طيلة النهار على معسكر المجاهدين، قال: حضرت قصفا على معسكرات المجاهدين حتى ظننت أن كل ما فيه قد انتهى ومات ودفن تحت التراب، قال بعد المعركة ما وجدت شهيدا واحدا ، قال: أنا كنت أرى طيورا بيضاء تحت الطائرات -هذا الكاثوليكي الشيوعي الإيطالي، يعني هو جمعها من كل الأنواع كاثوليكي شيوعي وإيطالي، مفهوم؟ السوء من كل ناحية- رجع وعلى التلفاز الإيطالي أسلم، وقال: أنا رأيت الطيور تدافع عن المجاهدين في أفغانستان، مذيع التلفاز يفهم مثل العرب!! قال له: أنت تصدق هذا؟ قال: أنا لن أكذب عيني، وأما أنت فصدق أو كذب فكله واحد''.

فنقلهم للحقيقة فيه تأثير على الغرب.

والغرب يهتم بالإعلام، ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على اهتمام اليهود بالإعلام والصحافة بوجه خاص، فهم يملكون:

1- 244 صحيفة في الولايات المتحدة الأمريكية، منها 151 دورية.

2- 30 دورية في كندا.

3-118 صحيفة في أمريكا اللاتينية.

4- 348 صحيفة في أوروبا بجميع اللغات الأوروبية.

5-3 صحف في الهند.

6- خمس دوريات في تركيا.

7- 42 دورية في أفريقيا.

وتعلن إسرائيل رسميا أن الصهيونية تسيطر على 889 صحيفة في الدول الغربية.

وقد استطاع الصهيوني روبرت مردوخ أن يشتري أعظم صحف بريطانيا وأقواها نفوذا وهي صحيفة التايمز التي كان يملكها اللورد طومسون.

فالإعلاميون مرابطون أينما كانوا وإن شاء الله لهم أجر المرابط في المتارس.

خاتمة:

أيها المرابطون أحسنوا الظن بربكم:

إن أصحاب المبادئ الربانية هم المنتصرون على كل حال، مهما طال الليل وازداد حلوكه، فإن الحق ما دام في نفوس أصحابه فهم عالون بعلو الحق الذاتي ، ومنتصرون بانتصار الحق في ذاته، وأصحاب الباطل مهزومون مدحورون مهما امتلكوا من الأسلحة والقوة المادية، معذبون بباطلهم ومعذبون بأيدي المؤمنين ، فإن للباطل في نفوس أصحابه عذاباً يدركه بعضهم ولا يدركه آخرون لافتقادهم الإحساس أصلاً ، ومهما كان علو الباطل المادي فإن علو الحق الحسي أعلى وأرفع، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

وقال تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

قال علي بن طالب رضي الله عنه: حسن الظنّ بالله ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك.

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين: "فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها؛ فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميع تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا" انتهى.

قال تعالى ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: "فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته.

ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنما كان هذا ظن السوء، لأنه غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة، يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم.

ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح بهذا، وليتب الى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت، لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة * وإلا فإني لا إخالك ناجيا" أ. هـ. بتصرف.

أخيراً:

أسأل الله العظيم أن يثبتنا على ديننا، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

اللهم إنا نعوذ أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغنا حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهالينا وأولادنا ومن الماء البارد.

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جثتي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيت المقدس